بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله المفتقر إليه الغني به محمد بن أبي محمد بن ظفر
المكي عفا الله عنه إن شكر الله سبحانه لأسنى الملابس الفاخرة
وأحمده لأعود بخير الدنيا والآخرة فالحمد لله الذي
جعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب
دون أستار سرادق الأقدار حجابا مستورا وقضى
أن الخير على الفطن لا يزال حجرا محجورا وأوطأ المستهدين
لسباياه ممهودا وثيرا وأمطى المدرمين بمطاياه كؤودا
وعورا فقال سبحانه وتعالى وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل للناس شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وبعد فإن مما أفضى بي إليه اضطراب الاغتراب
وانتياب الاكتئاب أن أطرفني الله سبحانه وله الحمد
بنفحات مقيل عثرات الشعراء السادات ومسيل ... الحمدة

حسرات سائد السادة وقائد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم بن علي بن علوي القرشي بارك الله له في الخير الذي الهمه كسبه وكان وليه وحسبه فلقد انزل الدنيا بدار منزلتها وكوشف بشرك مذلتها فعمل للبقا لا للفنا وجمع للجود لا للاقتنا وجاد لله لا للثنا وآخى للتعاون على البر والتقوى لا للتهافت في هوى الهوى وترك الرياسة بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا ولا تصغى للوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا وحلم لا يرفع الغضب اليه رأسا وحزم لا تخاف الايالة معه باسا فالحمد لله الذي اباحني من اخائه حمى منيعا وحرما آمنا ومرتعا مريعا وورد منيعا ووردا ينيعا شعر

نحن بقربهم فيما استهينا ... واحببناوما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا ... به خيرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كأنا ... اذا ملنا نميل على ابينا
ونغضبه لنخبر حالتيه ... فيظهر منهما كرما ولينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لا قررت عينه بطي ما نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان وثق الله بعده ولا ايقاني بعده يرى ان الشكر في وجوه الايمة ندوب والمدح من خواص اوليائه ذنوب فلا زالت يد التوفيق له ناصره ومكانة العلاء بمفاخره وخطى الشوائب عنه قاصره ومكائد الاعداء له داخره * آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الامين وعلى اله وصحبه الاكرمين وسلم عليه وعليهم في العالمين اجمعين ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه وتعضد الشكر وتساعفه احببت ان اهدي اليه هدية

مائة رايقة تكون عنده باقية وتقدره لائقة فلم
احد لذلك الا العلم الذى شغفته حبا والحكمة التى لم يزل
بها صاحبا صاحبا والادب الذى استوعبه مولودا
وكبيرا واستعمره حلابا وقلبا فاتحفته باساليب
الغاية فى احكام الايه وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا
سعى سالكها الى العلم بالطاهر والمنبسط من قول الله
سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ثم شفعته بالمسمى
لاستنشاق العونه والاشراق وهو كتاب استوعبت فيه
مسائل ديتك التاليفين الشريفين مشفوعة بحب راهيم
وعززتهما بدرر الغرر وهو كتاب اسطمت به درى
اسماء عماء الاسماء فاودعته منها ما عرفطله وبهرت
حكمه وحسن ادبه ثم ربعت بكتابى هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثلة استأثرت خواص الملوك بصناعتها ومنهم
الغيرة عليها مراداتها فتوسعت فى التعبير بالناطق
عنها والخبير بعليها والمس بقوى فطنتى بها توسعا
لا يحظره شرع ولا ينبو عنه سمع حتى اذا عادت اهلتها
بدورا رائقة واضحت وديها عما يابعة نفثت فى صورها
ارواح الاصلاب الركيه وكسوت جسومها حلل الاداب
الملوكيه وتوجت رؤسها سماك الهمم الابيه وقلدت
عواتقها سيوف المكايد الحربيه وتصدتها بايات من
التنزيل الحكيم المحكم واحاديث عن المصطفى صلى الله عليه
وسلم الى ما يلى ذلك من منثور الحكم وموزونها والكانا
الاداب وعيونها فجرت روضة للقلوب والاسماع
ورائضه للعقول والطباع وسميتها باسلوان المطاع

في عدوان الاتباع والسلوان جمع سلوانة وهي خرزة تزعم العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا
قال الراجز
لو اشرب السلوان ما سلوت   مالي غنى عنكم وان غنيت
وهي خمس سلوانات الاولى في التفويض الثانية في التاسي الثالثة في الصبر الرابعة في الرضى الخامسة في الزهد وانا ارغب الى الله سبحانه وتعالى في الامداد بالسداد والارشاد الى نفع العباد فيه الحول والمكنه وله الطول والمنه السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض قال الله ربنا تقدس اسمه وعلا فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاستوقف من عقل امره عن الاقتراح عليه واقسم بما يرضاه من التفويض اليه فالعاقل تارك الاقتراح على العالم بالصلاح ووجه افهام المندوب الى التفويض من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا يامن المضرة بالمسرة ولا ييأس من المسرة بالمضرة فيستخير الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله صرف البلاء واللطف في مكروه القضاء وبهذا عامل الله سبحانه وتعالى مؤمن ال فرعون حين فوض امره الى الله وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزراء فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه لموسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعظته على ذلك المؤمن القرابة

ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يد موسى عليه السلام
بمصر وفرعون جمع فرعون بطانته ووزراءه وكان في
جملتهم ذلك المؤمن فشاورهم في امر موسى واتفق
رأيهم على مطاولة موسى عليه السلام وجمع السحرة
لمقاومته وكان رأى فرعون معاجلة موسى بالقتل ويدل
على ذلك اخبر ربنا تقدس اسمه فقال تعالى قالوا ارجئه واخاه
وارسل في المداين حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وقال
عز من قائل وقال فرعون ذروني اقتل موسى الاية ولما
اطلع وزراء فرعون على رأيه في موسى عليه السلام امسكوا
عن مراجعته هيبة له واستحق ذلك المؤمن مراد بطش
فرعون بموسى عليه السلام فعيل صبره وضاق بستره صدره
وقال ما اخبر الله به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ثم كانه استقال وراجع
التقية والحذر والتورية فقال ما اخبر الله به عنه وان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم ولما سمع فرعون مقالته غضب وامر بشخص من شاور
بطانته ووزراءه في امره واشاروا بان يبسط العذاب
عليه ثم يقتله ليردع من كان على مثل رأيه فكره فرعون
ذلك وعطفته عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا
الى ذلك المؤمن ويعظوه وينصحوه ويامروه بمراجعة
ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه عاقبة خلافه ففعلوا
ذلك فلما سمع ذلك المؤمن مقالتهم دعاهم الى الله
واذكرهم ما عاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله
عنهم وحلول مكره بهم وكان منه اليهم معنى ما اخبر الله
عز وجل به من قوله يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب

الآية وقوله ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد الآية وقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية وقوله ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة الى قوله ان الله بصير بالعباد فعاد القوم الى فرعون واخبروه عن المؤمن بثبوته على المشاققة والمنابذة والعصبية لفرعون وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا فيه فأتته ابنته فسألته عن امره فاطلعها عليه فقالت له ان عندي لك الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما رأى ان موسى قد امتنع بالسلطان الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير ممكن تظاهر بما انكرته عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن من مداخلته وقتله غيلة فكلما سمعت ورأيت فانما هو مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم اهل نميمة وحسد وبغي لم يطيقوا على مثل وفائه ونصحه فسر بذلك فرعون والقى الله تعالى عليه في نفسه تصديقها فيقال ان آسية امرأة فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر فرعون ذلك المؤمن فاعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت ما انت قاصد له وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك قال الله سبحانه وتعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك المؤمن من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع مع عذاب الدنيا الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه وتعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله واعلم وفقك الله واياي ان حقيقة التفويض والتسليم لامر الحكيم وهو الذ

دل الله عليه مصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وأس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد
انه لا يكون من الخير ولا من الشر الا ما اراد الله كونه ولا
يصح التفويض الا ممن اعتقد ذلك وتدبره وقد بالغ
النبي صلى الله عليه وسلم في التصريح به في قوله لعبد الله
ابن مسعود ليقل همك ما قدر لك يأتيك وما لم يقدر لم
يأتك واعلم ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه
الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك فقوله صلى الله عليه
وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر يأتيك الى
اخره بيان للعلة التي من اجلها قد فوض العقلاء وسلموا الى
الله عز وجل ونحو ذلك ما رويناه في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة في كلام قاله له فان
اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر
وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فدله على التفويض
اي التسليم الى امره ونهاه عن قوله لو لما كانت تنافي التفويض
الى الله وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع
مشيئته ومما رويناه في صحيح مسلم عن البراء بن عازب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك
فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم
قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجأت
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي
ارسلت الحديث من العاطل الحكام في هذا المعنى اسجاع
وابيات حكمية في التفويض معارضة العليل طبيبه

تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم فى قبضة القاهر اذا كانت
مقابلة القدر مستحيلة فمن اعوان نفوذه الحيلة اذا التبست
الموارد والمصادر ففوض الى الواحد القادر ان من الدلالة
على ان الانسان مصروف مقلوب ومدبر مربوب ان يتبلد
رايه فى بعض المطلوب ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا
كان ذلك فان تدميره فى تدبيره واغتياله فى احتياله
وهلكته فى حركته قيل كان الحجاج بن يوسف الثقفى اذا
تعارضت آراؤه فى خطب من الخطوب انشد

دعها سماوية تجرى على قدر لا تفسدنها برأى منك منكوس

وفى ذلك قلت

ايا من يعول فى المشكلات على ما يراه وما دبره *
اذا اشكل الامر فابدأ به الى من برعمته ما لم تره
تكن بين عطف يقيك المخوف * ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبى الامور * وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العناء علام الاسى وهم الحذار وفيم الشره

وقلت فيه ايضا

يا رب مغتبط ومغبوط برأى فيه هلكه
ومنافس فى ملك ما يشقيه فى الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالا راء سيئ الحال ضنكه
فكن امرأ محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه.

روضة رائقة ورياضة فائقة

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ان ابن عمه يزيد بن الوليد
ابن عبد الملك قد اوغر عليه الصدور وشرد عليه القلوب

واستطال الليل عليه وبارحه دار ملكه ساعتا فى ملكه
استوحش من بطانته واحتجب عن سماره ودعا فى عشية
من عشاياه وحشته خادما له فقال له انطلق متنكرا وقف
باب الطريق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا
رث الهيئة والملبس يمشى مشيا هونا وهو مطرق فسلم عليه
وقل له فى اذنه ان امير المؤمنين يدعوك فان اسرع الاجابة
فأتنى به وان تلكأ او عارض او استراب فدعه واطلب
غيره حتى تأتينى برجل على الشرط الذى ذكرت لك فانطلق
الخادم فأتاه برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على
الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وقام فامره الوليد بالدنو
منه والجلوس وامهله الى ان ذهب روعه وسكن جأشه
ثم اقبل عليه فقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال الكهل
نعم احسنها يا امير المؤمنين فقال له الوليد ان كنت تحسن
المسامرة فأخبرنا عنها ما هى فقال الكهل المسامرة اخبار المبيت
وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يحسن ويليق فقال له الوليد
احسنت ايها الكهل لا اريدك امتحانا فقل منصتا لقولك
فقال الكهل يا امير المؤمنين ان المسامرة صنفان لا ثالث
لهما احدهما اخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثانى اخبار
بما يوافق غرضا مقترحا وانى لم اسمع بحضرة امير المؤمنين
حديثا فآخذ واعلى مثاله ولا اقترح على امير المؤمنين
طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال له الوليد
صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما لتتبعه
انا نعلم ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يصير ملكا فارسل
وشق علينا ذلك ولم ما ملعا عظيما فهل بك ذلك
فقال الكهل نعم فقال له الوليد قل الآن على حسب ما بى

منه وعلى حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير
المؤمنين بلغني ان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما
ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن
العاص وكان عمرو بن سعيد قد انطوى على دغل نية
وفساد طوية وطماعية في نيل الخلافة وكان امير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يبقي عليه
لتأكيد حرمته وصلة رحمه فلما فصل امير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو
ابن سعيد فاستأذن امير المؤمنين عبد الملك في العود الى
دمشق فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد الى دمشق صعد
المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس
الى خلعه فأجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق
وحصن سورها وحمى حوزتها وسد ثغورها وبذل
الرغائب فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجه الى
ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان النعمان والى حمص قد نزع
يده من الطاعة وان اهل الثغور قد تشوفوا للخلاف
فخرج على وزرائه وبيده مخصرة يضرب بها عطفه
فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار ملككم قد
استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير
قد استولى على الحجاز وعلى العراق ومصر واليمن وخراسان
وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير
قنسرين وناتل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم
من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف اهل
الثغور للخلاف وهذه المضرية سيوفها على عواتقنا تطالبنا

نقتل المرح فلما سمع وترداوه مقاله ذهلت عقولهم
وعلموا ان لا مقر ولا مفر فكسروا رؤسهم ولم ينطقوا
فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون احضر وزعماء كم
هذا وقت الحاجة اليكم فقال له افضلهم اى غناء عندنا
في هذا الوقت وددت والله ان اكون حرباء على عود
من اشجار تهامه حتى تنقضي هذه الفتن قال المصنف الامام
حجة الدين ابو هاشم محمد بن ظفر عفا الله عنه الحرباء دابة
صغيرة طولها اقل من شبر لها قوائم اربع وراسها تشبه
راس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت على عود او حجر
او شجر ثم استقبلت الشمس بعينها وجعلت ذراعيها ولا
تصرف عنها بصرها حتى تستوي الشمس في اعلى فلكها
فتصير على راس الحرباء فلا يمكنها النظر الى الشمس فتلقى
وتضرب بلسانها حنكها كما يفعل من يسوق حمارا فلا تزال
كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها
وذراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها واذا غربت
ذهبت الحرباء تسعى ما تاكله طول ليلتها حتى اذا طلعت
الشمس عادت الى فعلها فتمنى هذا الرجل ان يكون حرباء
فرارا من تلك الفتن قال الكهل فلما سمع عبد الملك مقاله
صاحبه علم ان لا غناء عنده وبرز ثم قام عنهم وامرهم
بلزوم مواضعهم وركب من ساعته منفردا وامر جماعة
كثيرة من شجعان اصحابه وفرسانهم ان يركبوا بالسلاح
ويتبعوه متباعدين منه بحيث يرون اشارته ان اشار
اليهم ففعلوا وركب عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم
لهم فلم يزل سائرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف الجسم
سيء الحال وهو يعمل السماق فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديث

خفيف ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزل هذا العسكر فقال
الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل
سمعت شيئا مما يقول الناس في امره فقال الشيخ ما سؤالك
عنه فقال عبد الملك انى اردت اللحاق به والدخول عليه في
اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما معناه انى
اراك اديبا وضيا وحسيبا سريا فهل تحب ان انصح لك
فيما انت قاصده فقال له عبد الملك ما احوجنى الى ما تقول
فقال له الشيخ انه ينبغى لك ان تصرف نفسك عن هذا الذى
ترغب اليه فان الامير الذى انت قاصده قد اغلمت عرى
ملكه ونابذه اتباعه واضطربت اموره وان السلطان
في حال اضطراب اموره كالبحر في حال هيجانه لا ينبغى ان تقرب
فقال عبد الملك ايها الشيخ ان الحنكة لم تبلغ بى مغالبة نفسى
في كل ما نزعت اليه وانى اجدها تنزع الى صحبة هذا الامير
نزاعا شديدا ولا بد لى من ذلك فهل لك ان تحسن الى
فتخبرنى بما تراه من الرأى لهذا الامير في تدبير هذه الخطوب
التى دهمته لانى لا استغنى عن مشورتك لحسن هيئتك
وسمتك ورأيك لاعرض ذلك الرأى عليه والفق به عنده
فلعله ان يكون سببا لقربى منه فقال الشيخ ان حكمة الله
وعزته ليقتضيان بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض
النوازل وانى لاظن هذه النازلة التى بها الخليفة من النوازل
التى لا تنفذ فيها العقول ولا تهتدى فيها الى الصواب وانى
اكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا اقول فيما سألتنى
عنه قولا اقضى به حق رغبتك وان كنت لا اثق بنفسى فيه
لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهى عظمه فقال له
عبد الملك قل جزاك الله خيرا فانى لارجوان يسدد ذلك الله

ويرشدك ويرشدني بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا
الخليفة قد خرج لمحاربة عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه
وتعالى انه لا يريد ما قصد له والدليل على ان الله لم يرد
قصده لمحاربة ابن الزبير انه قطعه عن التمادي بما اسدى به
في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد على منبره واستمالته
لرعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير رحله فتداوى
مسير عليك فتفقد حال هذا الامير واستطار ما يكون
منه فان رايته قد تمادى فيما خرج له واصر على قصد ابن
الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله
سبحانه وتعالى قد اظهر في حكمه امرا يقطعه عن التمادي
لما خرج له فابى الا الالحاح وان رايته قد رجع من حيث جاء
وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج له السلامة لانه
مستقيل مراجع والله سبحانه وتعالى اجل ان يقيل من استقاله
ويرحم من يرجع اليه فقال له عبد الملك يا شيخ وفيم رجوعه
الى دمشق الاكبر والى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من
حكمة الله ومشيئته ان قص عليه قلوب رعيته الذين
بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره فمسيره
لابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان كل واحد منهما
حاصل على مملكة مبيعة ورعية مطيعة فقال له الشيخ
ان الذي اشكل عليك لواضح بين وها انا ازيل اللبس عنك
ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان
ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو
اذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمرو
ابن سعيد نكث بيعته وخان امانته وافسد رعيته وحملهم
على النكث والغدر ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لابيه

بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليها معتد ولها مغتصب وانه كان يقال سمين الغصب مهزول وولي الغدر معزول وكان يقال جيش العدوان مغلول وعرش الطغيان مثلول وساضرب لك مثلا يشفي النفس وينفي اللبس واودعه من فقر الحكم ما يشحذ الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر يأوي اليه وكان مغتبطا به لا يبغي عنه حولا فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج وعلم انها قد اوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا بل تدخل الجحرة التي لغيرها فتغصبها وتطرد عنها ما كان فيها من الحيوان قال بعضهم يصف رجلا بالظلم

وانت كالأفعى التي لا تحتفر   حتى تجي سانزدة فتجتحر

ولذلك يقال فلان اظلم من حية فهذا اظلمها ولما راى ظالم ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها ذهب يطلب لنفسه ماوى فانتهى به الطواف الى جحر حسن الظاهر مليح الموضع في ارض حصينة ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه وسال عنه فاخبر ان ذلك الجحر لثعلب يسمى مفوضا وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وادخله الجحر وساله عما قصد له فقص عليه القصة وشكى اليه ما ناله فرق له مفوض واقبل عليه فقال له ان من الهمة ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه وهلكه وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد جهز الى نفسه جيشا وكان يقال رب حيلة انفع من قبيله وكان يقال الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار وكان يقال اذا طالبت

عدوك بالقوة ولا تقدمن عليه حتى تمام ضعفه عنك
واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن امر عدوك وان كان
عظيما ورأي عندي ان تطلق معى الى ما والك الذى يرى
منك عصيانا حتى اطلع عليه فلعلي اهتدى الى وجه مكيدة
في تمكينك منه فان افضل الراى ما اسس على الرؤية
ولهذا قيل يفسد التدبير بثلاثة اسباب احدها ان يكثر
الشركاء فيه فاذا كان ذلك انتشر التدبير فيه وبطل
والثاني ان يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متباغضين
والثالث ان يملك التدبير
فيدخله الهوى والبغي فيفسد
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا
كان ذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الغرض
ثم ان تدبير المسموعات مؤسس على ظنون الغير وتدبير
المبصرات مؤسس على يقين النظر فانطلقا معا الى ذلك
الحجر فتأمله ممحوص وعلم ما اراد علمه من امره ثم اقبل على
طالم فقال له قد شاهدت امر مسكنك ما فتح لى باب
المكيدة وسهل لي عن وجه الراى فيه فقال له طالم اطلعني
على ما ظهر لك فقال ممحوص ان اصعب الراى ما سح
في البديهة وكان يقال الراى مرآة العقل فمن اردت
ان ترى صورة عقله فاستشره وكان يقال اسهل الراى
ما احادث الفكرة نقده واحكمت الروية عقده وكان
يقال الراى سيف العقل ولما كان امضى السيوف ما يولع
في ارهاف حده واجيد صقله كان انجح الاراء ما كثر
امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راى لم تتمخض الفكرة
ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ثم قال انطلق الليلة معي
فبت عندي لا نظر ليلتي هذه فيما سنح لى من المكيدة

ففعلا وبات مفوض مفكرا في ذلك وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب تربته وحصانته وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر الحيلة في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقال المنعم كالنار اكرامها اضرامها وكالخمر جيبها سليبها وتبيعها صريعها وكان يقال العاقل يقدم التجريب على التقريب والاختبار على الاختيار والثقة على المقة وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الانسان دفعا فلما اصبحا قال مفوض لظالم اني رأيت ذلك البحر بعيدا عن الشجر والخضر فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على احتفار مسكن بهذا المكان المتيسر الموافق فقال له ظالم ان ذلك لا يمكنني فان نفسي تهلك لبعد الوطن حنينا ولا تملك مع فقد السكن سكونا وانه كان يقال دلائل الوفاء سبع بر الاباء والامهات وصلة ذوي القرابات والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب واللبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الدواب وكان يقال الغريب ميت الاحياء قد اعاده البين اثرا بعد عين وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء دالة على محصول الغربة فالغين من غرر وغيبة وغبن وغم وغلة وهي حرارة الحزن وغرم وغول وهي كل مهلكة والراء من رزء وروع ورعب ورتق وردع وردى وهو الهلاك والباء من برح وبوار وبؤس وبعد وبين والهاء من هون وهول وهلك فلما سمع مفوض كلامه وما انطوى منه من الرغبة في وطنه قال له اني ارى ان نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربطه حزمتين واذا اقبل الليل

انطلقت انا الى بعض شده للخيام واخذت قبسا روا احتملنا
للحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك وجعلنا الحزمتين
على بابه واضرمناهما نارا فان خرجت الحية احترقت وان
لزمت للجحر اهلكها الدخان فقال طالم نعم الرأى هذا فانطلق
واحتطلنا حطبا وربطاه حزمتين بقدر ما يطيقان حمله ولما
جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مموص ليأخذ
قبسا فعمد طالم الى احد الحزمتين فاد الها الى موضع عينها
فيه ثم جر الحزمه الاخرى الى باب مسكن مموص ثم دخله
وجذبها اليه فادخلها فى الباب وسده بها وقد رأى فى نفسه
ان مموصا اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته
ولان بابه مسدود بالحطب سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه
ان يحاصره فاذا يئس منه ذهب فطلب لنفسه مأوى وقد
كان طالم رأى فى جحر مموص طعمة ادخرها مموص لنفسه
فعول طالم على الاقتيات منها فى مدة الحصار وادخله الشره
والحرص والعمى عن فساد هذا الرأى وانه متعرض لمثل
ما عزم مموص انه يفعله بالحية وكان يقال احترس
من تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك ورب
هالك بما دبر ومكر وساقط فى البئر التى احتفر وخرج
بالسلاح الذى شهر ثم ان مموصا جاء بالقبس ولم يجد
طالما ولا وجد الحطب فظن ان طالما قد احتمل الحطب يعنى
الحزمتين معا مختفيا عنه وانه بادر بهما نحو جحره اشفاقا
ان يأتى مموص فيحمل احداهما فشق ذلك عليه فظهر له من
الرأى ان يترك القبس ويبادر اليه فيلحقه ليحمل معه الحطب
فألقى القبس من يده ثم كره ان تفسده الريح فيحتاج الى طلب
قبس آخر فادخله فى باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب

فاضرمه نارًا واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره فلمّا
اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رأيت كالبغي سلاحًا اكثر
عمله في محتمله ولهذا قيل الباغي باحث عن مدية حتفه
بظلفه ومتردٍ في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره وقيل
ما اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا وقيل لكل عاثر راحم
الا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه وقيل
ما اعطى البغي احدا شيئًا الا اخذ منه اضعافه ثم ان مفوضًا
امهل حتى طفئت النار فدخل جحره فاستخرج جيفة ظالم فالقاها
واوطن جحره على حال تحفظ واحتراس واستعداد لكيد
الكائدين فهذا مثل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد
الملك ومخالفته الى دار ملكه وتحصينه فيها وقد كان عبد
الملك في مخرجه الى محاربة ابن الزبير عاملًا فيما يريد به
عن عمرو بن سعيد وبقاء الملك في اهل بيته وخروجه عن
ابن الزبير اذ كان عز عبد الملك عزًا لعمرو بن سعيد وملكه
ملكًا له فلم يرض عمرو بسعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه فعل
كفعل ظالم مع مفوض سواء فلما سمع عبد الملك ما ضربه الشيخ
من المثل واستبصر ما أودعه من الحكم سُرّ بذلك سرورًا
شديدًا ثم اقبل على الشيخ فقال جزيت خيرًا فقد عظمت يدك
عندي واني لأوثر ان تجعل بيني وبينك موعدًا وتذكرني
مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال له الشيخ وما الذي
تريد بذلك فقال عبد الملك اني أؤمل ان انتفع برأيك
عند الامير فأكافئك على ما كان منك فقال الشيخ اني أعطيته
لله عهدًا ان لا احمل منة لبخيل فقال له عبد الملك ومن
ين علمت بخلي فقال الشيخ كيف لا اعلم بخلك وقد ارجأت
صلتي ومكافأتي مع القدرة على تعجيلها وما عليك لو وصلتني

سعض ما أرى عليك من السلاح والبزة الشية فقال له
عبد الملك اقسم بالله لقد دهلت ثم نزع سيفه وقال اقبل
منى سيفى هذا ولا تخرج عنا فان قيمته عشرون الف درهم
فقال الشيخ انى لا اقبل صلة داهل فدعنى ورلى الى ك
لا يحل ولا يدخل فهو حسبى فلما سمع عبد الملك مقالته عانقه
وديه وقال له انى انا عبد الملك فاعتمدنى وارفع الى حوائجك
فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك فلم يرفع حوائجنا الى من انا
وانت له عبدان وانطلق عبد الملك وعمل برأى الشيخ فلما
سمع الوليد ما اخبره به ذلك الكهل استرجح عقله واستطرف
أدبه وساله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد
واستحى منه فقال له ان من جهل مثلك من رعيته لمضيع
فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الامر تعرف
اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلا والله فلا توسعا عذرا
لا نستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد اليه فى ملازمته انه
مهما فكان يستمتع من أدبه وحكمته الى ان كان من امر الوليد
ما هو مشهور

* روضة رائقة ورياضة فائقة *

قيل لما عزم امير المؤمنين محمد الأمين على اخراج عهد الخلافة
عن اخيه عبد الله المأمون والمأمون اذ ذاك مقيم بخراسان
كتب اليه الأمين كتابا يذكر فيه حاجته الى القائه ومفاوضته
فى مهمات وساله ان يستنيب بخراسان من يضبطها
ويعجل المسير الى بغداد وكتب الى المأمون سيريه الذين
... اذ ان الأمين يريد خلعه من عهد الخلافة ونقل عهده
الى موسى بن محمد الأمين فلما وقف المأمون على ما كتب
به اخوه وعيونه اليه شاور وزراءه فاشار اليه

بالتثبت والتعلل والاعتذار بشغب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لا يجد من يثق اليه بكفاية امرها فكتب المأمون الى الامين بذلك فعاوده الامين بمكاتبته وانه لو قدم عليه لقل لبثه ببغداد حتى يرجع وانما يريده في مفاوضة في خطب جسيم لا تودع بمثله الكتب فحين انتهى كتابه الى المأمون اطلع عليه وزراءه واستشارهم فاشاروا عليه بمثل رأيهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب به اولا وكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد منه وانه ممتنع مشاقق وان وزراءه اجمعوا على مثل رأيه بالامتناع فيئس الامين من تمام مكيدته لاخيه وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المأمون وحرمه وبطانته وما ظهر عليه من امواله وبلغ ذلك المأمون فامره الجزع وشاور وزراءه فثبتوا على رأيهم وحضوه على التثبت وانتظار الفرج ففعل ولما رأى الامين اصرار اخيه المأمون على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو طفل فاجابوه الى ذلك وبايعوه له وسماه الناطق بالحق واكفل له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن ماهان قد ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقل المنن في الاعناق وكان شأنه بخراسان عظيما فاستشاره الامين في امر خراسان فضمن له امرها وانه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه اثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد تغلب عليه واعطاه اموالا جزيلة وجمع معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح والكراع ما شاء وبلغ ذلك المأمون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى منتزه له ليناظر وزراءه في تدبير امره

من الفرس مجوسي فاداه بالفارسية

٢١ الله فلما نظر المامون الى هرمه رق

له ... ان يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده
ودخل عليه بغير استئذان ولما استقر المامون وبر راؤه بذلك الموضع
الذي قصده واله ادخل عليه الشيخ الفارسي فامر بالحلوس
في حاشية المجلس ثم اقبل على صحابته فاسمعهم بما صنعه
اخوه الامين من القبض على حاشيته وماله وتغييره على
ابن عيسى وهو يظن ان الشيخ لا يعرف اللسان العربي وان ما
من الهم شاغل عن الاصغاء الى ما هم فيه مع ما حمله على
ذلك من القلق والاضطراب فلما راى القوم ان المامون
لم يحتفظ من الشيخ تفاوضوا فيما اجلسوا له وجالت خواطرهم
الى ان قال احدهم الراي اصطناع اقوام من الاتباع الذين
لا يعرفون على بن عيسى فيلقى بهم وقال غيره الراي ان تبادر
بالارسال الى الامين تطلب منه الصلح وبذل الانقياد
لامره فانه يرى ذلك حظا وقال غيره الراي ان تلحق ببعض
بعض الحصون المعاقل فتعتصم به وتنتظر الفرج وقال غيره الراي
ان تجمع اهل النجدة فتخرج عليهم ثم تقصد بهم بعض هذه الممالك
المجاورة لنا من ممالك الكفار فتقصد قتالهم ولعل الله
سبحانه ان يظفرنا فتصير الى مملكة ما وتنتزع اليها من هو
على مثل راينا فتشمر وتجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره
وقال غيره الراي عندي ايها الامير ان تسير الى ملك الترك
مستجيرا به ومستعينا على اخيك الغادر القاطع فقد امر لكم
من الملوك يفعله اذا دهمه امر لا قبل له به فلما سمع المامون
هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي ثم افكر فقال
كيف احمل الترك على حرب المومنين سبيلا وقال لاصحابه

ترسوا عني فنهضوا اجمعون والتفت فرأى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وسأله عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له فقال الشيخ بلسان عربي ايها الامير اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو آكد منها واولى بالعناية فقال له المأمون لما احببت سالكا سبيل الادب فقال الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك ثم قد القى الله في قلبي من المحبة للامير ما ملأه وانه كان يقال الرق ثلاثة انواع فاولها واشدها استيعابا للباطن والظاهر رق الاختراع وهو الرق لله سبحانه صانع الاشيا ومخترعها والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم على المنعم الثالث رق الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اقربها الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا على الظاهر والباطن والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها وأنا اخبر الامير اعزه الله انه قد تظافرت له على ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع وان رأى الامير اعزه الله ان يوصل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي فيلحقني بذوي اختصاصه ويكرمني بمكاثرة اوليائه ونصحائه فعل ذلك متطولا به غير محتاج اليه وان عبده ليرجو ان تصادف الصنيعة منه شاكرا والاختصاص منه مشفقا ناصحا فقال له المأمون ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي فاطرق المأمون مفكرا فيما تكلم به فقال الشيخ لا تصدن الامير عني حقارة قدري فانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع احدا فانك تنتفع به كائنا من كان وهو احد رجلين اما شريف فيحميك او وضيع فيحمي عرضك ويصون مروءتك وعلى اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا

حقارة أعراق فأمّا اخلاقى فامتحا بها بياء الامير وامّا اعراقى
فانى رهمى من ولد الرهمى سيد ملوك الفرس المتوسط بينهما
وبين اول الاوائل وانا اعى حقارة دينى عند الامير وكونى
فى عقد دمة وصغار حرية فقال له المامون ما باعلك
ايها الشيخ من رهبة فان اسعلت من دمتنا الى ملتنا اتحمارك
ستعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسى الى ما دعانى اليه
الامير لشديد ولكنى لا افعله فى مقامى هذا ولعلى ان افعله
فيما بعده ثم قال أما دن لى الامير ان اتكلم فيما فاوض الان
وزراءه فيه فقال له المامون تكلم فقال الشيخ قد سمعت
ما أشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد فى الاصابة
ولست ارى شيئا مما ذهبوا اليه فقال له المامون اطلعنا
على رأيك فقال الشيخ انى احد فى الحكم التى ورثتها اباءك
عن اباتهم ان ينبغى للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان
يلزم التسليم لحكم فاسم الخطوط ولا يضيع مع ذلك نصيبه
من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل
على العذر فقال المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا رأى
لكذوب وقد سمحت نفسالك بالثقة من غير امتحان ومادتك
لاختيارها اضاعة الحزم ولكنا احسنا ان نذيقك ثمرة حسنة
بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا الموت
الينا يعنى على بن عيسى هو املك بالبلد منا ثم لا يمكننا مقاومته
لو اردنا ذلك لتعذر الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير
ينبغى ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة ولا تصغي الى من
ينطق به فانه كان يقال ما كثر من كثرة البغى ولا اقوى من
قوّاه الظلم ولا املك من ملكه الغضب وها انا احدثك
عمران حدوث مثاله بلت ماله فقال له المامون هات فقال

الشيخ ان للخنشوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد
ملك فارس واراد اطلاقه أخذ عليه عهدا ان لا يغزوه
ولا يقصده بمكروه ووضع فى اقصى تخوم ارض الهياطلة
صخرة واخذ على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة
ولما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذ عليه من عهود
المسالمة اطلقه فحين رجع فيروز الى دار ملكه داخلته
الحمية والانفة فعزم على غزو الخنشوار واطلع وزراءه
على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغى فما ردعه
ذلك عما هم به فاذكروه العهود التى اخذها عليه الخنشوار
فقال لهم انى لما حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا آمر
بحملها على فيل فتكون بين يدى جنودى لا يتجاوزها احد
منهم فلما رأوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا
القول علموا انقياد عقله لشهوته وامسكوا عنه واعتقدوا
ان لا يراجعوه فى ذلك وكان يقال الهوى صدأ يعلو العقل
فلا تنطبع فيه صور الحقائق وكان يقال ما لم يبلغ الهوى
حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ اللجاج فذلك ريب
السكر وقوة سلطانه وكان يقال لا يرشد تابع الهوى
فى حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه لانهما طالب
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها واما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حاجبان
وهما الشهوة والغضب ولا يزال العقل ناظرا الى الهوى
قاهرا له ما لم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ ينبسط سلطان
الهوى وينفذ حكمه قال فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة
يتبع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل وكان كل واحد
منهم ضابطا لربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز لحرب

الحياطلة فقعلوا وسار فيروز نحو الخشوار في جيوش
نظن ان لا غالب لها وكان للخشوار يتهمم عن مقاومة
مرداد من مزاحمة فيروز وانما كان ظفره بفيروز لا
لكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ
ومعنى هذا اللقب حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس
كالنبي قال لفيروز حين رأى عزمه على غزو الخشوار
لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم
يأخذوا في هدم اركان الشريعة فلا تتعرض له بسوء فلم
يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب رأسه هواه في
معصية نصحائه وكان يقال يستدل على ادبار الملك
بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن
لا خبرة له بالعواقب والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى
والثالث ان ينقص جراحه عن قدر رؤية ملكه والرابع
ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للرأي والخامس
استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحكمة وكان
يقال من عصى نصيحا فقد استمد عدوا وكان يقال انما
يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الرأي عالما ومن
ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى عالما وعلى حكم
هذا القانون فمن عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم ثم
قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار قاصدا نحو الخشوار
حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخشوار علما
لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يتجاوزها امر فيروز
بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين
يدي عسكر فيروز وهو ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد

من العسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذى كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة اصحابه فأخبره ان اسوارا
عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا
وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل أخيه فأمر له فيروز بمال ليرضيه
به من دم اخيه فأبى قبول المال وقال لا يرضيني الا دم
قاتل أخى فأمر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك
الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر فى يده فلما رآه
الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز
فتعجب من ذلك فنزل ونزل من وزراء فيروز عن دابته
وتقدم بين يدى دابة فيروز فسجد له وساله فيروز
عن امره فذكر انه يريد الخلوة به فى مهم عرض له فأمر فيروز
فضرب له فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل
عليه وامره يذكر ما عنده فقال له ايها الملك السعيد ملكت
الاقاليم السبعة وعمرت من بنى راسك فى مثل عزتهم
وقوتهم لقد ظهرت عناية اول الاوائل بك بما ضربه
لك من المثل فى امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا غنيا جلدا
هرب بين يدى مسكين فى يده خنجر وما ذاك الا لبغيه
وتعديه فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه عنه بل خوفه منا
ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يتبعها بمثلها فقال
الوزير ايها الملك ارأيت ان دعوته الى مبارزة ذلك
المسكين وامنته من سطواتك فظهر ذلك المسكين عليه
اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم فقال الملك لافعلن
ذلك ثم قال على بذلك الاسوار فحضروا به وامره بمبارزة
ذلك المسكين الثائر باخيه فأجاب الى ذلك وجمع عليه

ونحو الخشوار في جيوشه
الهياطلة فتعلوا وسار فيروز نحو الخشوار يتهمه عن مقاومة
نظن ان لا غالب لها وكان للخشوار يتهمه عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان طمعه بفيروز لا
لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذان موبذ
ومعنى هذا اللقب حافظ جملة الدين وهو عند العرب
كالنبي قال لفيروز حين رأى عزمه على غزو الخشوار
لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم
يأحد وا في هدم اركان الشريعة فلا تتعرض له بسوء فلم
يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب رأسه هواه في
معصية نصحائه وكان يقال يستدل على ادبار الملك
بخمسة امور احدها ان يستكفي الملك بالاحداث ومن
لا خبرة له بالعواقب والثاني ان تقصد اهل مودته بالاذى
والثالث ان ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه والرابع
ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للرأي والخامس
استهانته بنصائح العقلاء وآراء ذوي الحكمة وكان
يقال من عصى نصحاءه فقد استفاد عدوا وكان يقال انما
يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الرأي غالبا
ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى حكم
هذا القانون من عدم الفكرة في الامور التحق بالبهائم ثم
قال الشيخ الفارسي وان فيروز سار قاصدا نحو الخشوار
حتى اذا انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها الخشوار علما
لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يتجاوزها امر فيروز
بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين
يدي عسكر فيروز ونهى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد

من المسكر فما بعد عن ذلك الموضع الذى كانت الصخرة
فيه حتى جاءه رجل من ثقاة اصحابه فأخبره ان اسوارا
عظيم القدر مرزبانا من اساورته قتل رجلا مسكينا ظلما وعدوانا
وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فأمر له فيروز بمال ليرضيه
به من دم اخيه فأبى قبول المال وقال لا يرضيني الا دم
قاتل اخى فأمر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك
الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر فى يده فلما رآه
الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز
فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته
وتقدم بين يدى دابة فيروز فسجد له وسأله فيروز
من امره فذكر انه يريد الخلوة به فى مهم عرض له فأمر فيروز
فضرب له فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل
عليه وامره يذكر ما عنده فقال له ايها الملك السعيد ملكت
الاقاليم السبعة وعمرت ممن بنى راسف فى مثل عزتهم
وقوتهم لقد ظهرت عناية اول الاوائل بك بما ضرب
لك من المثل فى امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا نجيبا نجدا
هرب بين يدى مسكين فى يده خنجر وما ذاك الا لبغيه
وتعديه فقال فيروز انه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا
ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يتبعها بمثلها فقال
الوزير ايها الملك أرأيت ان دعوته الى مبارزة ذلك
المسكين وامنته من سطواتك فظهر ذلك المسكين عليه
ما تعلم ان هذا مثل ضرب لك قيم العالم فقال الملك لافعلن
ذلك ثم قال على بذلك الاسوار فحضر وابه وأمره بمبارزة
ذلك المسكين الثائر بأخيه فأجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه

وركب فرسه وأتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته
فأظهر الرغبة فيها والحرص عليها تخوف من الهلاك فلم
يجب وقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت
بعز وسيته وعدته واقدامه انك مهلك نفسك وميت
ولا اثم علينا فيك فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه
على فرس الغرور واما على فرس البصيرة وهو لابس درع
الشك واما لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي
واما مقاتل بسيف الحق فقال الوزير لفيروز رايها الملك
ان كلام هذا المسكين ابلغ في الملية والموعظة من طعن
هذا الاسوار بعض اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين
بالاحسان اليه فان لم يرضه الا القصاص فاقض له
بالعدل المألوف منك واستدم عناية الاول الاحد بك
نعمائك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخطه اجتنابه
فقال فيروز لابد من ان اخلي بينهما وانظر الى ما يكون
منهما ان كان يختار المسكين ذلك ويرغب فيه فاعادوا
عرض مبارزة الاسوار على المسكين فاصر على الرغبة
فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده تخويفهم الا
جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تعجز عنه فحمل
كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة
فرس الاسوار فضربه الاسوار بالسيف ضربة تطاطأ لها
المسكين فاصاب ذباب السيف الينه فاثر فيها اثرا ليس
بالكثير ثم ثار اليه المسكين وضربه بالحجر في عنقه وبدنه
فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل حلقات
من الدرع في جوفه وقضى عليه فبات فيروز تلك الليلة

في موضعه ذلك يفكر فيما يأتيه ثم انه استقاد لهواه
فنفذ لوجهه وكان يقال اول الهوى هون وآخره هوان
وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه وكان يقال
الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عز اخماد ها وكالسيول
اذا اتصل مدها تعذر صدها وكان يقال ليس الاسير من
اوثقه عداه اسرا انما الاسير من اوثقه هواه قسرا واره‍قه
خسرا قال الشيخ فلما علم الخنشوار قصد فيروز لحربه حمل
نفسه على التثبت ووكل الامر الى الواحد الاحد وساله
ان يغضب لعهوده ومواثيقه التى لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها واتخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد ثغوره
وجمع اليه جنده واعد للقاء فيروز عدته وامهل حتى
وطى فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته فعاث في
بلاده وساء على رعيته اثره فنهض اليه ففاجاه وصدقه
الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان فى يديه
فقتل الخنشوار رجاله وغنم امواله وامعن فى طلب
فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه
فكانت العاقبة له قيل فلما سمع المامون ما ضربه له الفارسي
مثلا اقبل عليه مستبشرا وقال له قد سمعنا مقالتك فحصل
منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فماذا ترى فيما
دعوناك اليه من توحيد الله الذى اجزل من العقل حظك
وفتق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد
صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله فسر المامون باسلامه
واجزل صلته وقرب منزلته فالحقه بخاصة اصحابه وامره
بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلائل حتى لحق بربه وعمل المامون

رأيه فأنجح الله عمله وبلغه من الخلاوة أمله والله تعالى أعلم بالصواب

السلوانة الثانية وهي سلوانة التأسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه من السورة المذكور فيها الاحزاب ايات معجزات طبق الفصل المقصود بهذا الكتاب وهو تأسي الملوك في طوام العوام والله ربنا المحمود على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله سبحانه وتعالى في المتألبين على خليفته في ارضه الداعي الى سبيله وتوحيده صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون بالله الظنونا وقوله في نجوم النفاق وجراءة اهله على اظهار ما كانوا يسترونه حينئذ وان المؤمنين قد ابتلوا وزلزلوا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين عن نصرة الحق المخذلين من اراد نصره قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية وقوله فيهم واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين لواذا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقوله في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويجيبون كل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها الاية وقوله في تعجيز القدر عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الاية

والتي بعدها وهي قوله سبحانه من ذا الذي يعصمكم من
الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة الاية فهذه جمل
طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه وتعالى
دل من امتحنه بها على ما ادب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومما ادب
الله به رسوله التاسي قال عز من قائل ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
ثم عرف الله سبحانه رسوله عليه السلام ان اضاعته
التاسي وتركه العمل به لا يجلب اليه حظا فقال وان كان
كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او سلما في السماء فتاتيهم باية واعلمه ان التاسي بهم شئ
مفترض عليه بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا امر جزم
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ادبني
فاحسن ادبي فالتاسي مما ادب الله به رسوله بل مما افترض
عليه كما بينا ومعنى التاسي عند الائمة ان تنظر الى اسى
غيرك اي حزنه وانه مثل اساك اي مثل حزنك فتصبر والاسى
هو الحزن ولا يعجبني هذا وهو عندي ماخوذ من قولهم
اسوت الجرح والجريح اي داويت والاسي هو الطبيب المداوي
فكان معنى التاسي التطبب والتداوي بالصبر والاسوة
اسم من هذا والتاسي تفعل من الاسوة ولو كان الى ما ذهبوا
اليه لكان معنى التاسي التحزن تقول اسيت اي حزنت
وتاسيت اي تحزنت تحزن نبوي في التاسي مما رويناه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا الى من هو اسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا

نعمة الله عليكم قال الشيخ الامام محمد بن ظفر عفى الله عنه ان
هذا الحديث لحسن الموقع مما نحن فيه ولا ينبغي ان يقتصر
بلفظه عن مطلق ابهامه وموجب عمومه لانه امر لمن كان
في نعمة دقيقة ان ينظر الى من هو في نعمة ادق منها وامر
لمن كان في بلاء ان ينظر الى من كان في بلاء اشد من بلائه
وانه دونه وامثل منه في المعافاة المطلوبة وهذا المجحف
عنه حظه اوفر وعلى هذا القياس وعلى قدر النعمة منعم
عليه ومحسن اليه بما يعرف بها انعم به على غيره وذو البلاء
منعم عليه بنقص بلائه عن بلاء غيره وبما فاته من البلاء
تلك الزيادة التي ابتلي بها غيره وانما كان هذا الخبر بليغا في
باب التأسي لانه يقلل مستعظم البلاء الذي نزل به الى ان
يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره ويحضه على شكر
ما فضل به من حظ العافية التي فضل بها على غيره وهذه
درجة اعلى من درجة التأسي المطلق لان التأسي المطلق
لا يفيد حضا على شكر ولا يصور النعمة المختفية في صورة
النقمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر

اسجاع وابيات حكمية في التأسي

التأسي جنة البلاء وسترة البلاء التأسي درج الاصطبار
كما ان للجزع درك النار انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم
في صور العواري المرتجعة والودائع المسترجعة فمتى لم يفعل
ذلك اعظم فقدها وجور النعم اذا استردها كما ينبغي له
ان لا يذهل عن حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها وادا زالت
عنه وصارت اليهم لم ينكر احدهم اصغاءهم وتقاصيهم
حظوظهم وليتأس بصبرهم عند جوره لها دونهم فيصبر

لدولتهم الخالقه كما صبروا الدولته السالفه ولان صدقة
المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين وما
يلتحق بذلك من ضروب المواساة فى المال وفى القوة وفى
الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء
الجنس حظوظهم منها وفى هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
قنعات والله المستعان انشدنى بعض الملوك لنفسه
حال شدة نزلت به يقول

نحن من قد علمت بطشًا وحلما ولنا المحتد الاعز الاغر
ولنا انفس عوارف بالدهر تاسى حين الاسى يستقر

وحضرت عنده يوما من ايام شدته فانشدنى لنفسه
يقول

قربنى دهري فلم يلقنى اطمع فى تأبيد تقريبه
ثم ثناعنى فلم يلقنى اجزع من اصناف تعذيبه
والحمد لله على حكمه فقوتى منه وحولى به

وقال لى يوما وقد حادثته بما يبعثه على التأسى انشدنى فى
ذلك شعرا فانشدته للخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا واذكره بكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن اعزي النفس عنه بالتأسى
الا يا صخر لا انساك حتى افارق عيشتى وازور رمسى

فقال لى هذا الخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشدنى له

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا باهلاك كرام

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا

متحسناً بها ه نصيا فه وحذره والنفر برمسه فى امر
يمكنه ان يستبيب فيه فعصاهم وكان يقال اشقى الناس
وزراء الاحداث من الملوك وعشاق القينات من الشيوخ
وكان يقال انما عسر صرف الاحداث عن محبة
الهوى الى رشد الرأى لامرين احدهما قوة سلطان
الشهوات عليهم والثانى ان التجارب لم يرض قوامهم على
مخالفة هواهم وذو الحكمة بخلاف ذلك ثم ان
سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيراً كان
له ولابيه من قبله وكان شيخاً داهياً وحزماً وسداد
رأى وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر فى العلوم
وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يطمئن به اليه
خلة او تدعو اليه داعية وامره ان يجاريه فى فريسه
ومراعاة جميع احواله فى نهاره وليله وتوجها معاً نحو الشام
فتزيا ذلك الوزير بزى الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتعرف
بصناعة الطب الجراحى وكان معه الدهن الصينى الذى
اذا دهنت منه الجراح برئت واندملت فى الحال قال
محمد بن ظفر عفى الله عنه قد رأيت جماعة ذكروا انهم رأوا
هذا الدهن المذكور وحدثنى بعضهم بانه امتحنه بان
جرح اللحم ودهنه فالتأم مكانه فكان ذلك الوزير
يسير نحو بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوى الجرحى
بادوية يضيف اليها شيئاً يسيراً من ذلك الدهن فتبرأ جراحهم
سريعة واداعى باحد منهم من ذوى الاقدار داواه من
ذلك الدهن صرفاً فيبرأ مكانه ولا يأخذ عليه اجراً فاشتهر
له فى بلاد الروم وذو صيت بالعلم والزهد وكان يقال
من عرى من العلم احتمى لسانه ومن عرى من الزهد احتمى العزة

ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الكبرياء اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الخزي ومن غرس الحسد اجتنى الكمد وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقة على حمد اخلاق اربعة العلم والزهد والاحسان والامانة قيل فانطلق سابور وزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى طرقا جميع الشام وتجاوزا الدروب وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطريق وتفسير هذا الاسم ابو الاباء فاستأذن عليه فاذن له وساله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطريق فقربه واكرمه واحسن نزله والحقه ببطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فاعجب به غاية الاعجاب وصار الوزير يتامل اخلاق البطريق ليصحبه بما يوافقه وينفق عنده ويحسن موقعه منه وكان يقال اذا اردت صحبة رئيس فانظر الى ما يستميله وينفق عليه من الالات فان كنت مطيقا للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فرض نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على بصيرة قيل فلما تامل وزير سابور اخلاق البطريق وجده مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار فاخذ الوزير في اتحافه من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة في صحبته حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعار قميصه

وحمل مع ذلك يعالج بكرجي ولا ما احد على ذلك عوض
فعظم قدره في الناس ووقعته القلوب وكان يقا
اذا كانت القلوب مجبولة على مقة المحسن وكانت الحر
رقا والاحرار يكرهون الاسترقاق فالحر على الحقيقة
من فدى نفسه من رق المحسنين بمكافاتهم على
احسانهم بجهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يتعهد احوال سابور في كل وق
الى ان صنع قيصر وليمة وحشد اليها الناس على طبقاته
وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على
هيئة قيصر وهيبته في قصره وذخائره فنهاه وزيره
عن التغرير بنفسه فعصاه وتزيا بزي بطل لئلا يستر
امره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما ايد الله به سابور من لطف الفطنة وعظ
الهمة وشدة البأس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته مصورا ماهرا في صورة سابور و
مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من صور وبالاحوال التي
شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصور على قيصر فامر
قيصر بان تصور تلك الصور على فرشه وستوره و
الات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسم فلما
دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم مع من حضر
ذلك المجلس اتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب
والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من حكما
الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة فلما وقعت عينه
على سابور انكره وجعل يتأمل شخصه ونظرته واشار
ورأى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشفه ولا يصرف بصر

عنه فأتى ذلك المتفرس بكأس فيه صورة سابور فتأملها
فانطبعت في نفسه مثالا لذلك الشخص الذى انكره وغلب
على ظنه انه سابور فأمسك القدح في يده امساكا طويلا
ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي في القدح تخبرني
خبرا عجيبا فقيل له ما الذى تخبرك فقال تخبرني هذه الصورة
ان الذى هي مثال له معنا في مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه به واعاد القول
وبلغ كلامه قيصر فادناه وساله فأخبره ان سابور معه
في المجلس واشار اليه فامر قيصر بالقبض على سابور
فقبض عليه وقرب من قيصر فساله عن نفسه فتعلل
بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس لا تقبلوا قوله فهو
سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليرعبه بذلك فاعترف لهم
بانه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستشف الاسرار من
لمحات الابصار وطالما دلت اوائل المبصرات على اواخر المنتظرات
وقيل كما ان الابصار مرايا تنطبع فيها المشاهد اذا اسلمت من
صدا الافات فكذلك العقول مرايا تنطبع فيها بعض الغائبات
اذا اسلمت من صدا الشبهات وقيل من الادلة على مكاشفة القلوب
بعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشئ يكرهه او يحبه
ثم يكون ذلك الشئ الذى يتوقع على نحو ما توقع منه ثم
يرى الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه
لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه اليه الاحسان
والاساءة قيل فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس
حبسه قيصر مكرما وامر فعملت له من جلود البقر صورة
بقرة اعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها الجلود سبع
طبقات واتخذ لها باب من اعلاها في ظهر الصورة يدخل اليها

ويخرج منها وجعلت فيها كوة من اسفلها في دينم المال
وامر بسابور فجمعت يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات
سلسلة ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره وادخل
سابور في جوف تلك الصورة وهذا اعداد حتى قيصر
جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة
التي سابور فيها سابور مائة رجل من ذوي البأس والقوة
يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم رئيسا
يضبط امرهم وصرف امر جميعهم الى المطران ومعنى هذا
اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو خليفة
البطرك وكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران فاذا
نزل العسكر انزلت الصورة التي فيها سابور في متوسط
العسكر وضربت عليها قبة تسترها وطاف بها خمسون
من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر
قباب مستديرة بها فكان في كل قبة خمسة ورئيسهم معهم
للمطران قبة مجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب
كلها خيمة يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب
اقدارهم ومراتبهم وسار قيصر مشتملا في جنوده وقد
عزم على خراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه ان
لا دافع يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام مداجاة العدو
ما دامت لدولته ريح اقبال كما ان العجز اضاعة الفرصة
فيه اذا ادبرت دولته وركدت ريح اقباله وكان
يقال العاقل لا يصير في سلطان ملك اجتمعت فيه خصلتا
الاهمال في الذات واضاعة الفرص وكان يقال تمييز
الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة
الالات وفضلت ذات الملك بخمس خصال رحمة تشمل

لرعيته وبقظة تحوطهم وصوله تذب عنهم وليانة يكيد
بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص فهذه فضيلة الذات
واما فضيلة الآلات فاتخاذ المباني الوثيقة العلية
والملابس الانيقة السرية والذخائر النفيسة السنية
والمطاعم الشهية والمراكب البهية فهذه فضيلة تفضل
بها هذه الادوات على ما هو دونها من اجناسها فيكون للقصر
فضل على غيره من القصور والثوب فضل على غيره من الثياب
والذخيرة فضل على غيرها من الذخائر والطعام فضل على
غيره من الاطعمة والدابة فضل على غيرها من الدواب
فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها قيل فلما سار قيصر بجنوده
ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور
للبطرك ان مما استفدت من خدمتك والقرب منك الرغبة
في صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود
وجبر تقع الى مضطر وقد علمت كفاءتي في معاناة الجرحى
وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل
الله ان يستنقذ بي نفسا صالحة ويترحم علي من اجلها وتعلمني
قلبي بخدمتها ويحفظني لها فكره البطرك ذلك وقال له قد
علمت اني لا استطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني بالسفر
البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما اكرهه وتسومني ما
يشق علي احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيئا من الاشياء على القرب
مني والحبيب الي فقد انزلتني عن حسن ظني بك فلم يزل الوزير
يتضرع الى البطرك ويملقه ويقرب له العود الى ان سمح له بذلك
فاذن له وزوده وكتب معه كتابا الى المطران يخبره
فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره
فليحله من نفسه باعلى المراتب ويستضيء برأيه فيما اشكل

عليه فقدم وزير سابور على المطران فعرف لحقه
وانزله معه في قبة وحمل زمام امره وهيبة بيده وجعل
الوزير يسوق على المطران بما يحبه ويستميله اليه ويطرفه
كل ليلة باخبار ممتعة رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه
فيتسلى بذلك ويدس في احاديثه ما يجب ان يستعمله
سابور من الاخبار ويعطيه له من الاسرار فكان سابور
يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد لتخليص سابور
انواعا من المكايد رتبها واتسم باعداد ما قدم على المطران
وكان يقال من ظن من الملوك ان لفطنته فضيلة على فطنة
وزيره فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط ثقة
الوزير لم يفلح وانما كانت فطنة الوزير انفذ من فطنة الملوك
لان الملوك يتفقهون ابدا في سياسة من دونهم من الرعايا الاغير
والوزراء يتفقهون في سياسة الملوك وسياسة الرعايا
ثم شبه شيئا بالجوارح التي تصيد وتفترس وتصيدها
بصاحوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الاحتراز
ومكايد الاكتساب وكان يقال احسن الوزراء حالا من
اعد لكل امر يجوز وقوعه ويمكن كونه عدة ما دام وقوع الامر
وايله مما كان اعده له واسوا الوزراء حالا من توكل على لطف
فطنته وقوة حيلته ودراية ممارسته فترك الاعداد للامور
قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك
تزوير القول واعداده وترويته توكلا على فصاحة لسانه
وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه
العي والحصر في بعض مقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح
توكلا على قوة يده وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به
عدوه في بعض المواطن قيل وكان من المكايد التي اعدها

وزبر سابور انه امتنع من مؤاكلة المطران وزعم لدانه لا يريد ان يخلط بالطعام الذى زوده البطرك طعاما غيره لما يرجوه من بركته لاعتقاده بر فكان اذا احضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الزاد فانفرد بالاكل منه فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبى وتغوير المياه وقطع الشجر واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير مبادرا ليستولى على دار ملك سابور ويباعث من بها من رؤساء الفرس قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس هم الا الفرار بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرارة مملكته وهى المسماة جندى سابور فاحاط بها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة فى دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل بما يفهمه اياه وزبره ويدسه فى احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم يسمع منه كلمة منذ سجنه قيصر فى تلك الصورة فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته على اهل جندى سابور وقد تسلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه الموكل به بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت منى منالا ضعفت عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسى فنفسوا عنى منها واجعلوا بينها وبين عنقى خرقا من الحرير فجاء الموكل بطعامه الى المطران فاعلمه بمقالة سابور فسمعها وزبر

سابور فعلم ان سابور قد خرج وسا طه ووطن لما
قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس لمسامرة
المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ادركته
منذ كذا سنة ولوددت اني كنت حدثته للملك
قبل سفره عنه فقال المطران اني راغب اليك ان
تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب فقال الوزير نعم
وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال
انه كان عند ما خليقة فتى وفتاة في نهاية من الحسن
والظرف اسم الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة
ما معناه سيدة الدار وكانا زوجين مؤتلفين متحابين
لا ينتهي احدهما بالآخر بدلا وان عين اهله جلس يوما مع
اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النساء الى ان وصف احدهم
امرأة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سيدة
الذهب فوقع نقلت عين اهله ميل اليها فسال الواصف
عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قريبة عين اهله ففكر
اهله في امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا
شديدا وكان يقال العقل كالملك والنفس كالزوجة له
والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل على النفس
مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المرأة
التي قهرها بعلها فشغلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها
وبعلها فصلحت الجملة واذا كان السلطان للنفس على العقل
كان سعي النفس فاسدا ورغباتها مذمومة كفعل المرأة
التي قهرت بعلها قيل فانطلق عين اهله الى القرية التي
تسكن بها سيدة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم
يزل يتردد اليه حتى رآها فرأى منظرا معجبا ولم تكن احسن

من امرأته ولكنه كان يقال من ضرورة النفس ان تحن
الى التنقل في الاحوال اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم
الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد وما افتتح
امره بالنقلة واختتم امره بالنقلة فاليق الاحوال تواصل
النقلة ونازعت عين اهله نفسه الاستكثار من رؤية
سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتاملها
حتى فطن له بعلها وكان جليقا غليظ الطبع قاسي القلب
شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين اهله حتى مر به فلما
رآه وثب عليه فقتل فرسه وخرق ثيابه ومقنعه وعنف
عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه
الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها
ووكل به الذئب عجوزا قطعاء اليد جدعاء الانف عوراء
العين شوهاء الحالة فلما جن عليه الليل اوقدت تلك
العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي
فتذكر عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية
والسرور فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه العجوز وقالت
له ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد الذل والشدة
فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا
قال الفرس للخنزير فلم يصدقه الخنزير ثم باحثه عن امره
فظهر بما خفي عنه وعلم صدق ظن الخنزير فقال عين اهله
للعجوز ان رأيت ان تحدثيني بذلك وكيف كان فانك
تحسنين الي به فقالت العجوز ذكر ان فرسا كان لرجل من
الشجعان فكان يكرمه ويحبه ويحسن القيام عليه وتعهد
لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات
الى المرج فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ

ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج به يوما الى
المرج ونزل عنه فلما استقرت قدماه على الارض همز الفرس
وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه
كله فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع الفارس
الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن
الفرس واظلم عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام
ان يستقر على احدى جنبيه فمنعه من ذلك الركاب
ورام ان يتمرغ فمنعه السرج فبات بشر ليلة الى الصباح
ولما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه فاعترضه نهر
فدخله ليقطعه الى الضفة الاخرى فاذا هو بعيد القعر
فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه فلما
خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا
عليه فورم لبانه ومحزمه واشتد الضرر عليه الى غاية
من الجوع فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي وقام
فمر به خنزير فخشي ان يقتله ثم عطفه عليه ما راى به من
الضعف فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار
اللجام واللبب والحزام به وساله ان يصطنع به معروفا
ويخلصه مما ابتلي به وساله الخنزير عن الذنب الذي
استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال
له الخنزير كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل بجرمك
فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي ان التمس عندك حقا ولا ان
اصنع معك معروفا ولا اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا واطلب منك اجرا وانه كان يقال اذا رايت
نفس الكذاب قد تشبثت بها عالم الفساد فكلها اليه فانه
الاوثق بها الفساد تركيبها والدليل على فساد تركيب

نفس الكذاب انها مضربة عن الصدق معرضة عن الحقيقة في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المعتز بها الراكن الى قولها وكان يقال احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وانت لا تشعر وكان يقال اصعب ما يعاينه الانسان مما رسته صاحب لا تحصل منه حقيقة وكان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ثم قال الخنزير وانكنت يا فرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه وكان يقال احذر الجاهل فانه يجني على نفسه ولست احب اليه من نفسه وكان يقال ما شيء اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان الكذاب يتناسى الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي هو ضدهما حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب ان الكاذب يأتي ما يعلم سفهه فيه والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد خيانة من الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف فقال الخنزير لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال النافل يتغير لمعروفه كما يتغير الباذر للبذر التي يبذرها زكي من الارض فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس

جميع امره وكيف كان عند فارسه وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه بالحرير فقال الحترير قد ظهر لي الآن انك جاهل عن ملك وان لك ذنوبا ستة اولها تذللك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات والثاني كفرانك لاحسانه والثالث اصرارك له في طلبك والرابع تمديك على ما ليس لك وهو السرج من اللجام والخامس اساءتك على نفسك شياطينك لتوحش التي لست له اهلا وكذلك عليه مقدرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك في عواياتك فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك ولا سيما من فارطحلك قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام بالضبك فقال الفرس للحرير اما اذ عرفتني ذنوبي وايقظتني لما كنت ذاهلا عنه مجحوبا بحجاب للجهل فانطلق الآن ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه فقال الحرير اما اذ عرفت وفطنت لهذا العذر ولمت نفسك وونجتها واخترت لنفسك العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة التي وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وامر قيل ان الآن نوقا كتب على باب بيته ابر لن ينفع حكمتنا الا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه الصفة ثم ان الحرير قطع عنان اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس كان فيما اسمع عن اهله ما حاطته به العجوز وفهم ما ضربت له من الامثال اقبل على العجوز وقال لها قد صدقت فيما نطقت وضربت لي مثلا كشف لي عن حلية امري وافدتني حكما لا كفاء لها وادبتني فادبت ووعظتني فانعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها في ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه

كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك غر لا بصيرة لك
باكثر الامور وان الذى سألتني لا يمكنني نسله الا ان
ولعلى ان اجد لك فرجا وشرحا مما انت فيه فعليك بالصبر
وامسكت العجوز عن مخاطبته فلما انتهى الوزير في حديثه
الى هذه الغاية اقبل على المطران وقال له انى احس في راسى
صداعا وفى اعضاءى فتورا ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث
ولعلى ان اكون في الليلة القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه
فاكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه فجعل سابور يتصفح
حديث وزيره ويتأمل الامثال الذى رصعه بها ففهم
ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس وكنى عن
مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار
وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب
الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس
سابور الى رؤية مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى
رؤية سيدة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض
الذئب على عين اهله وقصد بما ضرب له من الامثال الحكمية
تأديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفته نصحاءه وكنى
عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة المطران
وطلبه مرضاته وتعلقه بالعجوز القطعاء الجدعاء العوراء
المشوهة الخلق وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك
وعاودته ثقته بوزيره واستروح ريح الفرج ولبث
بذلك ليلته ووعدها الى الليلة القابلة فلما تعشى المطران
واخذ مقعده للمسامرة قال لوزير سابور ايها الراهب الحكيم
اخبرني ما كان من امر عين اهله وكيف كان عاقبة شدته وهل

حلمته العجوز من وثاق الذئب ام لا فان نفسي الى علم ذلك
متطلعة وادرك الليلة صالح الخان فقال الوزير سمعا للملك
وطاعة لامرك ثم اقبل عليه بحديثه فقال ان عين اهله قام
على حالته موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب نهاره
بالمنزل وزاده الى وثاقه قدا ثقيلا وخرج عنه فقطع عنه
اهله نهاره ذلك بالامان فلما جنه الليل قلق واستوحش فبكى
وانتحب وجاءت العجوز فاضرمت نارا قريبا منه وجلست
تصطلي ثم اقبلت على عين اهله فقالت له تعز واصبر واذكر
مصائب الناس فاس بهم ولا تذهل عن النعمة العظمى في
حفظ نفسك فقال لها عين اهله لقد صدق القائل هان
على الطليق ما لقي الاسير فقالت له العجوز ايها الفتى بحداثة
السن قصرت بك عن ادراك كثير من الحقائق اتسمع حديثا
لك فيه سلوة قال نعم فاقصي على به فقالت العجوز له ذكر
ان تاجرا مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة
له والشفقة به فاتحفه بعض معارفه بغزال قد تبدد
صغير فعلق به قلب الغلام ولد التاجر فكان لا يفارقه وجعل
اهل الغلام على ذلك الغزال حليا نفيسا وارتبطوا له شاة
ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشد نجم قرناه فقال
الغلام لاهله ما هذا الذي في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه
سوادهما وبريقهما فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان
حتى تكون صفتهما كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب
ان ارى ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه فصيد له ظبي
المسن قد استكمل قوة ونموا فاعجب به الغلام واكرمه اهله
وحلوه والبسوه فانس والف الغزال الظبي لمجانسة
النسمة فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي

في الارض شكلا ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا سواك فقال له الظبي نعم ان اشكالك لكثيرة فقال له الغزال اين هي فاخبره الظبي بتوحشها وانفرادها في فلوات الارض فرارا من الناس وحدثه عن مراتعها وكثرة ورودها وازدواجها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها فيكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها وانت قد نشأت في رفاهية من العيش وامنة لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لتعبت وكان يقال ثلاثة من لم ينزلها بمنزلتها ويرع لها حقها اسرعت له مفارقته والتحول عن قربه وهي الملوك والعلماء والنعم وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي الرخاء جماح فلا ينبغي ان ياذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار الذي يؤنس الوحشة وينفس الكربة فان استيلاء الاماني على النفوس كتامر السفل الذين يعيدون الرؤس اعجازا والاعجاز رؤسا ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صورة الصواب فقال الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باشكالي فلما رأى الظبي ان الغزال غير منته وخاف عليه ان يقع به قبل بلوغه ما تمناه لانه غر لا يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضي حق حرمة الفته اياه فرصد حينا يمكنه فيه الفرار وخرجا جميعا حتى لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يشد ولا يثنيه شيء فسقط في اخاديد وضيق قد قطعه السيل فنشب فيه وانتظر ان يأتيه الظبي ليخلصه فلم يأته فبقي هناك واما ولد التاجر فانه لما اصبح وتفقد الغزال والظبي جزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من

يعانى الصيد بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الظبى والغزال ووعد من وجدهما له وعدا مرغوبا فيه فانشولوا فى سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب المدينة ينتظرون من ياتى من الصيادين فانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا الصحراء فرأى رجلا على بعد مكبا على شئ بين يديه فاسرعوا نحوه فاذا هو صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فتأمله التاجر فاذا هو ذلك الظبى الذى يطلبه فخلصه من يدى الصياد وامر عبيده ان يفتشاه ففتشاه فوجدا معه الحلى الذى كان على الظبى فسأله كيف ظفر بالظبى واين وجده فقال انى بت فى الصحراء اتصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جاء هذا الظبى ومعه غزال فنفر الغزال بعد ووقف فى جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الظبى يمشى حتى حصل فى الشرك فاخذته وقيدته به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطئ فى ادخال الظبى المدينة حيا لعلى انه اذا رؤى طولبت بما كان عليه من الزينة فأردت ان اذبحه وادخل به لحما وهذا خبرى فقال التاجر ما كان عليك لو اطلقته وحصلت انت على حليه وزينته ولقد صدق القائل لا يدخل الشره مدخلا الا اعقبته الحرمة ولا يدخل البخل مدخلا الا اعقبته الحسرة الا ترى ان من جملة البخل والشره على اكل اللقمة التى عافتها نفسه كان متعرضا للحرمة بتهوع ما اكله وللحسرة عليه عند مفارقته ثم ان التاجر بعث بالظبى الى ولده مع احد عبيده وقال لذلك الصياد ارجع معى فارنى الجهة التى رايت الغزال يسعى نحوها فرجع راكبا

تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويشرف على المواضع
المرتفعة ومشى التاجر على رسله فسمع رنين الغزال
وهو صوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال الصوت
عرفه فصوت واتبع التاجر الصوت حتى قام عليه واذا
هو في اخدود ضيق او شق ضيق في الارض منتشبا فيه
فاخذه ونادى الصياد فوهبه دراهم وصرفه ورجع
التاجر بالغزال الى ولده فحملت مسرة الغلام وصار الظبي
يجتنب الغزال اذا رآه ولا يألفه كما كان فاذا حصل
معه في موضع نفر منه اشتد النفار فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الظبي والغزال
على حال الفة وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال
يوما نائم في بيت اذ دخل عليه الظبي فعاتبه على نفاره
منه وطول هجرانه له فقال الغزال انسيت غدرك بي
احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال
له الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في
علم التجربة اوقعك في تهمة البري واني لم اتأخر عن
تخليصك مما حصلت فيه الا مضطرا الى التأخر عنك عاجزا
عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل في شرك
الصياد فعلم الغزال عذره وعادا الى تألفهما قال فلما سمع
عين اهله حديث العجوز وفهم ما ارادته من ذكر عجزها
عن تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور
من حديثه الى هذا الحد سكت فقال له الملك ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد أن تؤخر اخبار
ما كان من عاقبة عين اهله وما لقي من الذئب وما صنعته
معه العجوز فقال الوزير اني لعاجز عن ذلك لفتور احله

فی اعضائی فقال له المطران لا تفعل فان ذلك یسوءنی
ویشق علی احتماله فاحمل علی نفسك اللیلة ایها الحکیم
فانی راغب فی تانیسك معجب باحادیثك فقال الوزیر
افعل ذلك طلبا لمرضاتك ولو علمت ایها المطران ما ادخرت
لك من عجائب الاخبار وغرائب الاسمار لعجبت من ذلك
اشد العجب ثم اندفع یحدثه فقال ان عین اهله لما سمع
حدیث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها ولبث
لیلته تلك باسوء حال ولما اصبح دخل علیه الذئب فنال
منه وتعتعه وعنفه وهدده بالقتل وزاده قیدا الی قیده
وعرفه ان لا ناصر له علیه ولا مخلص له من یدیه وخرج عنه
فجعل یعلل نفسه بقیة نهاره ویمنیها الفرج فلما اقبل علیه
اللیل استوحش واحتوشته الافکار المرضیة وانتظر
ان تجلس الیه العجوز او تحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تکثر
الدخول الی البیت الذی فیه عین اهله ولا تستقر فیه
فساء ظن عین اهله وایقن بالهلکة وما شك فی ان الذئب
یقتله فی تلك اللیلة فاقبل علی البکاء حتی ذهب صدرا
من اللیل ثم قال للعجوز ما لك لم تؤنسینی فی هذه اللیلة
بحدیثك ولا جلست الی فجلست الیه وقالت له اما کان لك
فی رفیق قطعاء جدعاء مشوهة عوراء سیئة الحال
ما یحملك علی التاسی والتسلی واحمد الله واشکره فی سلامة نفسك
ومعافاتك من بلاء هو اعظم من بلائك حتی قلت ما علی الطلیق
ما لقی الاسیر ولو اعترفت باطن حالی بما ظهر لك منها لعلمت
ان اسری هو اشد من اسرك واستمع الی احدثك حدیثی
اعلم ایها الفتی انی کنت زوجة لبعض الفرسان وکان
لی محسنا ولی رفیقا ولی محبا فکنت معه فی ارغد عیش

واهناه فلبثت بذلك مدة طويلة و ولدت له اولاداً
ذكوراً واناثاً فكبروا في رفاهية ونعمة فغضب الملك
على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولاده وبنا
متفرقات فاشترانى هذا الفارس الذى عدى عليك
واحتملني الى هذه القرية واساء على وكلفني من العمل ما لا
طاقة لي به واكثر معاقبتى على غير ذنب لما طبع عليه من
القسوة والفظاظة فسألته مراراً ان يرفق بي واستعنت
عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عنى او يبيعني
فلم تزده الشفاعات والسؤال الا قسوة على واضراراً لي
فلبثت بذلك سبع سنين ثم هربت منه فتبعني فادركني
فجدع انفي ثم عاود قسوته على واضراره بي وعاودت
مسألته والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رأيه
في فمكثت بذلك سبع سنين اخرى ثم فررت منه فظفر بي
ففقا عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى ثم فررت
منه فظفر بي فقطع يدي وقال لي انما بقي من اعضائك
التي انتفع بها عينك ويدك فان فررت بعدها قطعت
رجليك معاً وابقيتك انتفع بعينك في الحراسة وبيدك
في العمل واقسم على ذلك بغليظ الايمان وعاود عسفي
ومضرتي وقد عزمت على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي
بيدي طلباً للراحة مما انا فيه ولهذا رأيتني اكثر الدخول
اليك والخروج عنك وانما ذلك لحيرتي وجزعي من الموت
وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عين اهله
وقطعت وثاقه وتناولت سكيناً فقال لها عين اهله
لئن تركتك تقتلين نفسك لقد اشركتك في دمك وانتزع
السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معاً

او تقطب معا فقالت له ان كرسني وضعف بدني ليمنعاني من اتباعك والهرب معك فقال لها ان الليل متسع والموضع الذي نأمن اذا وصلنا اليه قريب وبي قوة على حملك فقالت العجوز اما اذا عزمت على هذا فاني لا احوجك الى حملي ما دامت لي مسكة وخرجا معا فلم ينقص الليل حتى بلغا الى حيث أمنا فجزاها عن اهله خيرا واصبحت واتخذها اما يسمع لها ويطيع فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك لها الحكم ولقد وددت ان لا افارقك ابدا وان سفري هذا يطول لتطول متعتي بك ويعظم حظي من انسك ولقد استعذب مفارقة الاهل والوطن لقربك ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل امثاله ففهم ان الغزال مثل سابور وان الظبي مثل الوزير وان خروج الظبي مع الغزال الى الصحراء مثل لصحبة سابور ووزيره حتى حصل سابور في حبس قيصر وان نفار الغزال عن الظبي لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وعلم ان الوزير قد عزم على تخليصه والخروج به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وان يحمله ان عجز عن المشي فأيقن سابور بقرب الفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران وللموكلين بحفظ سابور على حال خلوة فألقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ما جرت به عادته فلم يكن الا ساعة حتى استحوذ المرقد على جميعهم فاستلقوا في مواضعهم صرعى على مراقدهم ومضاجعهم وبادر الوزير

ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال
الجامعة من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر
قيصر وقصد به نحو جندي سابور وهي مدينة
ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهما الموكلون
بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض
اصواتهم وعرفهم نفسه واعلمهم بسلامة ملكهم
فابتدروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان
يأخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب
الاول خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم وقاموا
على تعبية وتأهب حتى اذا ضربت النواقيس الضرب الثاني
حملوا باجمعهم كل فرقة على من تليها فامتثلوا امره وانتخب
سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم
فيما يلي الجهة التي فيها اخبية قيصر فلما ضربت النواقيس المرة
الثانية حملوا من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم
تكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم
وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم
الفرس واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره.
واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا الشريد وعاد
سابور الى قرار ملكه فقسم الغنائم بين اهل عسكره وافاض
الصلات على جميع من في مدينته بقدر احوالهم واحسن
الى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع اموره الى وزيره
الذي خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال
له اني مبق عليك كما ابقيت علي وغير مجازيك بتضييق
محبسي ولكني اواخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع ممالكي

فتبني ما هدمته وتعمر مكان كل نخلة قطعتها زيتونة
وتطلق كل من كان في مملكتك من اسارى الفرس فضمن
له قيصر ذلك كله ووفى له به ولما انتهى في الاصلاح الى
بناء ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال سابور
لقيصر انما انسيه من تراب بلادك وامر قيصر عيته من
الروم ان تحمل التراب من بلادهم الى جندي سابور فرمم
به ما انثلم من سورها ولما اتم لسابور ما اراد من ذلك
كله احسن اليه واطلقه الى دار مملكته بعد ان قال له
هذا اهلك واستعد عدتك واجعل ارضك عما قرب
قال المولف رحمه الله قد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي
يحتملها هذا الكتاب والحمد لله على ما تيسر من ذلك والله اعلم

السلوانة الثالثة وهي سلوانة الصبر

وهي ثمرة التاسي قال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين
لديه ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن
عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وهذا لما تالب المبطلون
عليه وقصدوا بالمكر والمكروه اليه كما اخبر الله سبحانه
وتعالى بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك
او يخرجوك وكان رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة
باجمعهم ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم واتاهم
ابليس في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم
فقال لهم اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني
ما اجتمعتم عليه ولعلكم لا تعدمون في محضري خيرا فاحضروه
في تشاورهم فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين
اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم وان قتل كنتم قد كفيتم
امره فقال ابليس ما هذا راي اما سمعتم حلاوة منطقه

واخذه بالقلوب فلا تأمنوا ان يقع في حي من احياء العرب
فيستفسد اهواهم ويسير بهم اليكم حتى يفرق جمعكم
فقال الاخر ارى ان يوثق ويحبس حتى يأتيه اجله وهو في حبسه
فقال ابليس ليس هذا برأى اما علمتم ان له اهل بيت
واتباعا لا يرضون منكم بهذا فيقع الحرب بينكم وبين اهل كرم
ثم قد تكون الدائرة عليكم فقال ابوجهل ارى ان تأخذوا
من كل قبيلة من قبائل قريش شابا جلدا وتعطي كل رجل منهم
سيفا ويأتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطالبوا بدمه جميع القبائل اذا
افترق دمه فيها فقال ابليس لقد اصاب الرأى فتفرقوا على
رأى ابي جهل واوحى الله سبحانه وتعالى الى رسوله عليه
الصلاة والسلام يعرفه مكرهم وامره بالهجرة الى طيبة
وجاء الذين عينوهم من القبائل للفتك برسول الله صلى
الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فامر النبي صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر
وينام على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من
بيته والقوم على الباب فقرأ اوائل سورة يس والقرآن
الحكيم واخذ كفا من التراب وجعل يذره على رؤس القوم
وهم لا يرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم نحو الغار
وجعل المشركون ينظرون الى علي في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه برده الاخضر فيقولون
هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول حتى اصبحوا وقام
علي رضي الله عنه فنظروا اليه وقالوا اين محمد فقال لا ادري
امرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة ثم تركوه.
خبر نبوي في الصبر مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل
قائده والرفق والده والرأفة أخوه والصبر أمير جنوده ٥
فما هيك خصلة تتأمر على هذه الخصال ــــ وليس المراد
تفضيل الصبر على العلم والعقل وما ذكر من الخصال معهما
ولكن المراد ان الصبر يكون الشاعل هذه الخصال لمن اتصف
بها لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن
اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه
والملازمة له كان عدم زايله كمن لم يتصف به فالصبر
لهذه الخصائص الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده من
مزايلة مراكزها والاخلال بما نصبت له من دفع واسماع

منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روى ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل
مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس
كما ان الحديد يعشق المغناطيس وكذلك الظفر يعشق الصبر
فاصطبر تظفر اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومعه
دليل وان الصبر درج يفضي من عرج الى الفرج وان اقل
فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها ينقص لذة عدوه
والمشتفي الشامت به والصبر صبران صبر العامة وهو
عمل اشباح وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد احكم هذا
المعنى حبيب بن اوس فقال ـــــ

وللناس سر بالصبر يدرع له ... في الحادث الحال ادراع اللأم
والصبر بالارواح يعلم فضله ... صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللأم اي الدروع والدرع لأمة وجمعها
لأم وقال حبيب ايضا فاحسن

واذا رأيت اسى امرئ او صبره ... يوما فقد ابصرت صورة رأيه

وقال نهشل بن حري

ويوم كان المصطلين بحره وان لم تكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوخ وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله يبوخ اى يخبو وهما سواء وقلت فى ذلك

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم

الصبر اولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله كان على ايامه بالخيار

وقال عمرو

ومقعد كربة قد كنت منه مكان الاصبعين من القبال
صبرت لها وكنت لها حفاظا اذا احجم اللئام على النزال
فهذا والمنية من ورائي ستطرقني بها احدى الليالي

قال المؤلف عفى الله عنه هذا انموذج من القول فى الصبر على الجملة وهو يتنوع انواعا والنوع اللائق بكتابي هنا عنها هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو والقوة الثانية قوة الكلاءة والتحفظ وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها فى الملوك الثبات واما ثمرتها فى حماة المملكة من المقاتلة فالاقدام فى المعارك ولا يراد من الملك الاقدام فى المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام عسكره من يتق بذبه عنه ودفاعه دونه وحمايته له فلقد ذكروا عن الفرس ان فيلا اغتلم اى هاج شبقا فدخل قصر كسرى انوشروان والفيل اذا

اعتلم اكرسواسه ولم يثبت له شي الا الى عليه قالوا
وان ذلك الفيل قصد المجلس الذى كان فيه كسرى ومعه
جماعة من كفاة اصحابه فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل
قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى على سريره
وثبت معه رجل من اساورته كان متكيا عنده يثق
بثباته فقام ذلك الاسوار بين يدى سرير كسرى
وبيده طبرزين وقصد الفيل فثبت له حتى غشيه
فضربه بالطبرزين على قطعته فكر الفيل راجعا من
حيث جاء وقد نالت منه الضربة منالا شديدا ولم
يتحلحل كسرى عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته
ابهته فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فان لم
يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه عنه حسن حينئذ
منه ان يذب عن نفسه اما بالاقدام على العدو ان غلب
على طنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم او بما يرامه ان
اباه مالا قبل له به واشفق من عطب رعيته بهلكه كما
حكى ان موسى الهادى كان يوما فى بستان ومعه اهل
انسه وبطانته وهو راكب على حمار وليس معه سلاح
فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا من الخوارج جيء به
اسيرا وكان الهادى حريصا على الظفر به فامر بادخاله
فادخل بين رجلين قد امسكا بيديه فلما راى الخارجى
الهادى جذب يديه من الرجلين اللذين كانا يمسكانه
واخترط سيف احدهما وتنحو الهادى ولما راى
ذلك من كان حول الهادى من اهله وحاشيته فروا جميعا
وبقى الهادى وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب
الخارجى منه وكاد ان يعلوه بالسيف قال الهادى اضرب

سنقه يا غلام فالتفت للخارجي حين سمع ذلك ووثب
الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي وسقط للخارجي
تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف فذبحه
به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته
واهله يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحياء وما خاطبهم
في ذلك بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقه
سيفه ولا يركب الا الخيل وقد جلا عنك هذا الخبر ما ايد
الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصابة الراى
وشدة الكيد وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله
عليه روضة رائقة ورياضة فائقة
قيل وصف لكسرى انوشروان ارض من التخوم الهندية
تتاخم اقليم بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهواء والماء
وكثرة الاشجار وبركة الاثمار وكثرة العمائر وحصانة
المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة
الفهوم وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على
العمارة وملازمة الطاعة ولين المقادة فشرهت نفس
كسرى الى تملك تلك الارض والتكثر باهلها وكان يقال
الشره اعرق الخصائل في اللوم فالحرص ابوه الذي يولده
والبغي ابنه الذي يلده والطمع شقيقه والذل رفيقه
وكان يقال من شره وقع فيما كره وكان يقال الشره شرة
ينتجها طبع ويهيجها طمع قيل فلما طمحت نفس انوشروان
الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر بانه عظيم من
اركان الهند وانه شاب منقاد للشهوات مقبل على لذاته
الا انه سالك صراطا من العدل لا يجور وما لك منهلا من
البذل لا يغور ذو رافة برعيته قد اشربت قلوبهم وده

وصرفت امالهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من
ثقاة اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب الملوك وبعثها
في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وخديعة وفكر
فامره بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها
ومعاقلها وتطلب عوراتها وتعهد لحلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول
في طاعته ويحذره التعرض بتصوله بمحالفته واستلو
ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن في نزله وبالغ
في بره وتكرمته ومنع عليه الاخبار وبالغ في قصده عن
التصرف وفي قبض الناس عن لقائه واحتجبه ولم يستنج
الكتاب منه وندب لاختباره وعلم ما قصد له رجلا من
دهاة اصحابه فامره بالتحسس على اسبابه والتلطف في مداخلته
ومحاتلته فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا بجوار
ذلك الرسول وملأه تجارا وجلس فيه ليبيع ذلك
التجار وكان للرسول غلام يخف في حوايجه ويتصرف في
مآربه فجعل الجاسوس اذا راى ذلك الغلام هش له واكرمه
وساله عن حاله من حاجة الحاد انس به الغلام فكان
يجلس اليه ويستعين به على امره فلبث كذلك مدة
لا يساله عن شيء من امر سيده فلما تأكد انس الغلام به
قال له يوما من تكون ومن يكون لك في هذه الدار
التي تدخلها فقال له الغلام صحبتي منذ كذا وكذا ولا
تعرفني فقال له الجاسوس وما علمي فقال له انا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس
ومن كسرى وما رسوله فقال الغلام كسرى ملك
بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال الجاسوس قد عرفت

حين ذكرت لى بابل لانى كنت فى صبا ئذا جير الرجل من
اهل بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يسأله عن شى
وكان يقال الاستغبر نغير وقيل التنقيب يرهب الاريب
وقيل من تسرع الى الامانة فلا لوم على من اتبعه بالاضاعة
ومن تسرع الى المشاركة فى السر فلا لوم على من اتهمه
بالاذاعة ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه
بالخداع ومن عنى بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بالخبث فى الطباع قيل ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما
اذا خرج استاذك فاعرنى اياه فقال الغلام ان مولاى
لا يتصرف فقال الجاسوس امريض هو قال الغلام لا
ولكن ملككم حصر عليه الخروج وعلى الناس الدخول عليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام له ما الذى ابكاك فقال له
الجاسوس ابكتنى الرحمة لمولاك مما هو فيه لانى ابتليت
بمثله وذلك انى حبست مرة فى دين كان على ومنعت امرأتى
من الدخول الى فلولا ان الله من على برجل كان محبوسا
معى فكان يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل يحدث
مولاك وتسليه فقال الغلام انى لا اعرف هذا ولا ادرى
خبرا اطرفه به فقال الجاسوس له افلا ادلك على ذلك قال
الغلام بلى فاحسن الى بذلك فقال له الجاسوس اذا خرجت
من عند مولاك فطف فى المدينة وتأمل ما تراه فيها واذا
رأيت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يفيضون
فيه فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رأيت
اليوم كذا وكذا وسمعت من يقول كيت وكيت لان فى
هذا تسلية له وانسا من وحشته ويوشك اذا فعلت
ذلك ان تحظى به عنده ففعل ما امره به الجاسوس فقال له

سيده من ذلك على فعل هذا فقال الغلام اما فطنت له
ففعلته فقال له سيده كلا ليس هذا في قوة عقلك
فاخبرني من دلك عليه فقال الغلام دلني عليه جارنا
بيع الفخار ما رأيت اجهل ولا ابله منه فقال له سيده
ما الذي دلك على جهله وبلهه فقال الغلام انه صحبني
اكثر من شهرين ولا يعرف من انا ولا من سيدي وذكرت
له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول استراب
به وحس انه متجسس عليه لما رأى انه قد افرط في تجاهله
وكان يقال من افرط فهم وكمن فرط ومن استعمل في تجاوزه
استنبل عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال
ولا عنك قناع العقول كسماع المقول وكان يقال من
لم تعرفك عاشراد ماه لم تعرفك شاهد عيناه قيل فلما
سمع الرسول مقالة عبده امره ان يأتيه به ففعل فلما
رآه الرسول حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوسا
عليه فاكرمه وقربه وتظاهر له بغباوة وجهل لا
مزيد عليهما وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
متفقدا حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية
ولما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل ما اراد علمه من
امر رسول كسرى ذهب اليه فاخبره ان ذلك الرسول
قدم لا ذكاء له ولا غناء عنده اكثر من ابنه ذو نجدة
وفروسية فوثق الملك بقوله وتحيل الرسول بالمروءة
التي مثلها الجاسوس عنده وكان يقال لا يكن سمعك
لاول مخبر ولا ثقتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان
الخبر يدخله الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل
الامتحان جور وكان يقال انما يقضي بصدق الخبر عصمة

المخبر لا صدقه وشرح ذلك ان الخبر الصادق اذا لم يكن
معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة التدليس وكون
المخبر ثقة صدوقا انما يفيد سلامته من التحريف فيما
نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد ينظر انسان
المغفل الى الشمس فيخبر بانها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه
قطعات السحاب فيخبر بانه ادرك سرعة سيره وينظر
من سفينة جارية الى البر فيظن ان البر يجري وينظر الى
افعال الشعوذي فيخبر عن الاشياء بخلاف ما هي عليه ويسمع
كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه لكن من جهة ادراكه قيل فلما وثق
الاركن بمقالة جاسوسه احضر رسول كسرى واكرمه
وخاطبه بكل قول حسن واخذ منه الكتاب وخلع عليه
واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا واباح له
التصرف واذن لمن اراد قصده في زيارته وتابع اتحافه
وتكرمته ولبث بذلك تاما ثم استحضره وسلم اليه جواب
كتابه واعطاه هدية الى كسرى يقال ان منها سيفا طوله
خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
كما يعمل غيره في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق
تسع منا من الطعام وكاسا من الزبرجد البحري يسع رطلا
من الشراب والف درة فريدة وقنديلا اسر الهيا فيها ياقوتة
حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيه مصباح لسلوا
التي شعاع الياقوتة على الالوان القابلة للحمرة فلا يثبت
في حمرة او طيب اكثيرا ودرهما ودرقا وغير ذلك من تحف
الرسول بحباء وذخائر كثيرة نفيسة وصرفه الى مرسله
فلما اتى الرسول على كسرى ساله عما ندبه اليه ليعرفه واخبره

مطيب تلك الارض وفضائل خصبها وشرف مزاياها
وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة تؤتى منها الا من
سكانها فان عقولهم متهيئة لقبول الخدع تجوز عن الخطر
في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن الفوا
حسن طاعته فلو ندب اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات
الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا
انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم
اعضاده الذين يصولون بهم في الارجاء ثمار مجتناه وفي
البلاد سيوف منتضاه فنظر كسرى فيما كتب اليه من الاركن
فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف بفضله وعلمه
ورغب اليه في الموادعة والمؤاخاة فاستشار انوشروان
وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته
فاختلفوا عليه فاجمع رايهم على ان ترد هديته اليه ففعل ثم انه
ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات
وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم وبين لهم
ما لا يعدون عليه فنفذوا لما امرهم به حتى انتهوا الى
مملكة ذلك الاركن فتفرقوا فيها واعمل كل واحد قوته فيما
انتدب اليه فلما اتى عليهم عامان احكموا ما ارادوا في مملكة
ذلك الاركن وفي غيرها من مدنه وحصونه ورساتيقه
وكتبوا بذلك الى كسرى فحرك اليهم المرزبان المتولي ربع
المملكة المقابل لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل
كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم ربع
منه ومع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فبينما شرع
ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب شيوخ الاركن
بتلك الجهة اليه يعرفونه ان المرزبان المجاور لجهة بلاده

قد اخذ في حشد الاجناد وتأهب للاستعداد فعلم الاركن
انه قاصده ونجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد
المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من
غفلته وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر
مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم وزراؤه
والخامس هو صاحب بيوت النيران ورئيس الزمازمة
والذي يأخذون عنه دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم
مابلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان لقصد
بلاده واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا يتناظرون
في ابتغاء صواب الرأي فقال احد الوزراء الاربعة الرأي
ان يستصلح الملك رعيته فيملأ ايديهم رغائب وقلوبهم
املا حتى يستقيم معوجها ويأنس نافرها فان عدونا
اذا علم بذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بكلمة
مجتمعة وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح
هذا من الرعية لو كان فسادها انما وجد عن جور
وعسف سير فيزال عنها سبب فسادها فتصلح وليست
رعية الملك بهذه الصفة وانما ورد عليها الفساد جعلها
مواقع الصواب وبطرها لترادف النعم وقد قيل اربعة اذا
فسدهم البطر لم تردهم التكرمة الا فسادا الولد والزوجة
والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا القوى الاربع
المزدولة اذا هاجت لتعدى حدود المصلحة وهي الغضب
اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذائل والشهوة
اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتساب الفضائل
والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى
راحة الجسد من كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربع

اذا تعدت هذه الحدود ولم تردها المداراة والرفق الا عنادا وطغيانا وانما تقاوى بحسم موادها فقال الملك صدق الحكيم ثم قال وزير آخر من الوزراء الاربعة الرأى عندى ان تضرب من صلح من الرعية من فسد منها حتى تستقيم وتستوثق لنا ثم نلتقى عدونا ممن لا نخاف دغله ولا نحذر غشه لانا مضطرون الى الحرب لكون عدونا لا يرضيه الا احدنا ابديا بجملة فقال رئيس الرمازمة هذا انفع لعدونا من حيث وادعى الى طاعته من دعانه مع اراداته ان يحرسنا فيما بيننا وتناصبنا هتك هيبتنا من نفسه وطمع فينا امله وقد قالت الحكماء اربع من استقبلها بالعنف والردع فى اربعة احوال هلك بها الملك فى حال غضبه والسيل فى حال صدمته والفيل فى حال غلمته والعامة فى حال هيجها ومرجها وقالوا انه شئ يردع العامة عند تمرها وهيجها معاناة الحذر فى حال اسمانه الى سطح الحسد بالاطلية الرادعة فقال الملك صدق الحكيم فقال وزير ثالث الرأى عندى ان تطلب تعيين من فسدت طاعته من الرعية فتميزه من سواه ثم نرى رأينا فيه بما يقتضيه حاله من قلة او كثرة وضيعة او نباهة وضعف او قوة فنقابله بما يوجبه حاله من التدبير فقال رئيس الرمازمة البحث الآن عن هذا خطر عظيم لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق بعدونا واعتماده بالنصائح ودلالته على عورتنا واذا لحق بعدونا قاتل معه على بصيرة ليست لعدونا وبذل جهده فى العود الى وطنه واهله وعدونا لا يقاتلنا على مثل ذلك وربما لم يفصل عنك المريب بل بقاوما

بموضعه وبكاشفنا ويتكثر علينا بشكله من الرعية فيتم
وان لم يكن على مثل رأيه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين
لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب
اذا ابصراه ولا يلتفتان الى تحقق الذئب في الخلق الكلبي
ولكنهما بنافرانه ويصطلحان في التعاون عليه نظرا الى
خصيصة توحشه وانفته وجرأته فكذلك العامي
لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني
بل ينظر اليه من حيث خصيصة تفرده وانفته وعلو
همته فينافره لذلك ويألف العامي الذي يشاكله وقد
قالت الحكماء ثلاثة ان كاشفتهم بالامتحان في ثلاثة احوال
خسرتهم مؤدبك في حال استقلالك وصديقك في
حال اختلالك وامرأتك في حال اكتهالك فالرعية كالزوجة
وادبار الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان
قوى معدى الناقهين من الامراض بالاطعمة الغليظة
فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان
اوسعهم علما وافضلهم رأيا اما انا فاحدث الملك حديثا
اخبرني به مؤدبي وكان من آخر ما افادنيه وقال لي
اخزن هذا الحديث في حبة قلبك ولا تتمن ان تعيش الى
اليوم الذي تحتاج فيه اليه واني لاحسب انه هذا اليوم
فقال له الملك قل نسمع لحديثك فقال رئيس الزمازمة
ما اولاه بالاصابة فقال الوزراء الثلاثة انه لكذلك
فقال الوزير الرابع انما نحن كاصابع الراحة في افتقار
بعضنا الى بعض وقوة بعضنا ببعض ثم انا نستمد من
من نور عقل الملك السعيد بنظرنا اليه كما تستمد الدراري
من نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وبه معتضد فقال

الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن
سالت عنه فانتم فى مناصحتنا والعطف عنا والاداء الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجد واله اجمعون ثم قال ذلك
الوزير الرابع زعم مؤذنى ان رجلا موسرا من التجار كان
ياوى من داره الى بيت مسطح السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما شئن وادعين
من الامنة وتيسر الطعمة يمرحن النهار كله على طمانينة
فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتفرقن فى مخازن التاجر
ومساكن عياله فاكلن واحتملن فكثر اذا هن على التاجر
وانه دخل يوما مسكنه ذلك فاستلقى فيه متفكرا فى بعض
امره وجعلت الفيران تمرح على بطانة السقف والتراب
يتساقط من خلال الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا وامر
بتحويل ما فى البيت من الاثاث ثم امر عبيده فوضعوا بطانة
السقف فانتشر الفيران فى الدار فقتل شر قتلة ولم يبق
منهن الا جرذ وفارة كانا غائبين عن السقف فلما رجعا
وابصرا فساد وطنهما ومصارع الفيران فى جميع الدار راعهما
ذلك فاقبل الجرذ على الفارة فقال لها لقد صدق القائل
من صحب الدنيا واتقاها كان كالنائم فى الظل الذى يكون
قبل بلوغ الشمس الى نصف دائرة فلكها الاعلى فيتقلص
الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد للظل
عينا ولا اثرا فقالت الفارة صدقت فما ذا ترى قال
الجرذ ارى ان لا اسكن بموضع ينال منه هذا المنال
وافر من الانس جهدى فان فيهم شديد وحيلهم امضى من
قوة غيرهم من العالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا
حتى اتيا ارضا براز اجرزا ذات اخلاط من الوحوش تكنفه

وادياً معشباً فيه غدران ماء ذات ضفادع وسلاحف
فاعجبهما ذلك وسارا في الوادي يلتمسان موضعاً يحتفران
فيه جحراً فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انجاب عنها سيل الماء فيه يميناً وشمالاً فاحتفرا في
اصل تلك الربوة جحراً رضياه واوطناه وانهما علوا
يوماً من الايام تلك الربوة فرأيا في اعلاها يربوعاً قد
علا سنه على باب جحره فرحب بهما وحادثهما وسألهما
عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا له انهما اوطنا جحراً في
اصل تلك الرابية فقال لهما اليربوع لولا ان النصح
كثيراً ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا
الى نصحك فقال لهما انه كان يقال اربع لا تقدم عليها
حتى تسأل عنها الخبير بها السوق لا تقدم عليها حتى تسأل
عن النافق والكاسد فيها والمرأة لا تقدم على خطبتها حتى
تسأل عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها حتى تسأل
عن امنها وخوفها والبلدة لا توطنها حتى تسأل عن مرافقها
وسيرة سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم
وكان يقال انظر الى المتنصح فان اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك
فاعلم انه شرير وان اتاك بما ينفعك ويضر غيرك فاعلم انه
طامع وان اتاك بما ينفعك ولا يضر غيرك فاصغ اليه وعول
عليه وكان يقال ان لم تعن ناصحك على نفسك كان ناصحك
كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجاً قبل ان يقيم العود
في منصبه وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب على الانسان
من قوى الخير والشر فاستشره يدلك رأيه عليه اصح
دلالة وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان
التعاطي يزيد المتعلق به شراً ويعرضه في مواسم الخزي وهذا

كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير
يتعاطى الغنى وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة في امر
فاستشر ذوي الحكمة والتجربة من طبقتك وذوي
صناعتك ولا تعدل عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرج
عن حدك لكونه خارجا عن عالم خصائصك واعلم انه قد
جمعتني واياكما ماسة صناعية وهي حفر الجحر الا ان
في علها اربع منكما واسفلا من جحركما انه نسل اخر ومن
شرالاوطان وانا ان تجدة هذه الارض والجيرة وقد
قيل قبل ان صاحب دارها فتحولا عن ذلك الجحر والطلبا ماوى
سواه فخرجا من عند اليربوع بهرآ بروتيخرا مدة وتسامر
الى الحرم وللحرى ورجعا الى جحرها فلبثا مدة طويلة وولدا
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك
الارض لبعض شانه ثم عاد قاصدا الى الربوة فاذا السيل
قد جرى في ذلك الوادي فاحدق بالربوة وارتفع حتى
صارت الربوة مثل البحر العجاج ووقف على صفة الوادي
سيظر متحسرا الساد وطنه وهلاك اهله وولده ودهاء
ما اعدم من طعمته فرأى اليربوع قائما على الربوة آمنا فناداه
اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية
الحبير النصيح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ
هون عليك وخفض من حسرتك فان النعمة في بقاء نفسك
ترى على المصيبة باهلك وولدك فاسن النعمة بالشكر
تالفك وتستمتع بها وانه كان يقال اطهر البشر لثلاثة الصديق
والعريم والنعمة وكان يقال الحر لا يدهل اساءة من
كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكانت
يقال اذا احسن اليك محسن ثم تنكر لك واصابك بمساءة فلا

نتقبض منه ودم على شكرك له وبرك به فان ذلك اوجد
شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشفاقي ايها الحكيم
من معصيتك والبعد عنك وحق قيل ينبغي للعاقل ان يصحب
العلماء المشهورين بالحكمة والاداب ولو كنت ذا بصيرة
لعلمت ايها الحكيم انك لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة
الكؤد وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر
اقتضته الحكمة واوجبه الرأى المصيب ثم ان الجرذ اميل
حجر اليربوع فاوطنه آمنا قرير العين فهذا ما اخبرني به
مؤدبي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح قائلا
وسددت ناصحا واصبت مشيرا وتلطفت مبلغا ودعوت
سميعا فالتمس لنا ربوة نرضاها لاستقرارنا نلزم انفسنا
الصبر على صعودها ونقصر ما فيها على غيرها الوف ملازمها
وانبساطها في هذا العالم الخبيث فعلنا ان نجتني السلامة
التي اجتناها اليربوع من سبيل هذه الفتن فقال الوزير
ايها الملك السعيد المفدى بالنفوس الزكية عشت ابدا
لك ان تعيش وتلت ما املت فما اعجب قبولك ما نهديه
اليك من نعمك ونجلوه عليك من حكمك واني لاعرف في
ناحية من ممالكك معقلا نطل فيه على اهل الارض اطلال
زحل على الكواكب تقاتل دونك الابصار اللاشخة والاوكار
الطائحة وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقة ومرافق متناسقة وقد كان بعض
سلف الملك السعيد عني به بعض العناية فقطع عليه
له الدهور الحتم القاطع عقد الحياة فلما سمع الملك ما له
فيه وزيره ملئ سرورا وركب من فوره في خاصته

ونباته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذى دله عليه ودنى
فوجده فى رأى عينه افضل مما صوره الوزير فى
نفسه ووجد رسوما وثيقة وآثارا اثرها من تقدم
من ملوكه فحشد اليه المهندسين والبنائين والعمال
وامرهم بالحذق فى اكماله وبادر من فوره فنقل اليه خاص
بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائس ذخائره وحشد
رعيته بحمل الاهراء اليه واودعوه من الارز المقشور
وغير المقشور ما ظن ان فيه كفاية وذلك ان الارز الذى
لم يقشر يطول البقاء واعد لرجاله عدته وهو مع ذلك
يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت
له ثلاث اشهر من يوم كتب اليه جواسيسه بحركة المرزبان
وحشده اقتحم المرزبان ثغوره فى الجيوش المتوافرة والعدة
الكاملة وظهر دعاة كسرى بتلك الناحية فيمن استفسدوه
من الرعية فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان
عليها عمالا من ثقاة اصحابه ورتب فيها حماة من جنده ومن
اهلها ثم دنا يطوى الارض فوافته جنود الاركن ودافعته
بعض الدفاع ثم انهزم من كان فى نفسه دغل فانهزم الناصحون
بانهزامهم واستولى المرزبان على عسكرهم واستولى المرزبان
واخذ الاموال ثم تجاوزهم يطوى المملكة طيا وكان
الاركن بعد ما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث باهله وحشمه
الى ذلك المعقل وجمع وجوه خاصته حضرته فوعظهم
وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين
منهم فتنصلوا مما قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة
طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم الملك انى لم اجمعكم

لهذا ولست بناكل عن عدوي ولا مستبعد الظفر به والنصر
عليه ولا بمعين تهمة احد منكم غير انه اخبرني بعض وزرائه
عن ملك من سلفي انه شرع في بناء معقل وعني به بعض
العناية فحال بينه وبين تمام ما اراد من ذلك الاخلال المحتوم
على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه حيازة قول
الحكيم ان ابر الملوك من تمم به سعي سالفه واعقهم من انقطع
سعيه عنده ثم اني احببت ان اجعل ذلك الحصن من عددي
وذخائري لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لجميع قضايا
العقل اشكالها وقولهم يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة معاقل
يتحصن بها احدها وزير صالح يتحصن برايه والثاني سيف
قاطع يتحصن بحده اذا غشي والثالث فرس سابق يتحصن
بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة حسناء يتحصن
بها فرجه وبصره والخامس قلعة منيعة يتحصن بعلوها
اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل لتحصيل به مقصودات
ونقلت اليه ذخائري ومن يكرم علي فمن اراد منكم ان يقتدي
بي في فعلي اخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم اذن لهم
فخرجوا من عنده فاقتدى به منهم من كان على راي ذا
عقل وخبرة فجهزوا الى ذلك المعقل اهاليهم واموالهم
واقواتهم واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يتلو
طي السجل لا يلقاه جيش الا هزمه حتى اشرف على حصن
الاركن فنزل على فرسخ منها وتهيأ للاقدام عليها وقد كانت
الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة فخرج
الاركن في امر بيته الى ضرب مقاتل من عبيده وخاصته وثقاة
اصحابه فقام بالامر في معزل عن جيوشه ورعيته بطل اهل
المدينة وعبأ خيوله ورتب صفوفه وكان في المدينة داعيا

من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج
الملك من المدينة فظهروا واتبعهما من كان على رأيهما
واطاعهما فوثبوا عليه الملك على المدينة فملؤه واستولوا
على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائما في حدوده بظاهر
المدينة اتاه رسول الرمارمة حافيا حاسرا يلطم وجهه
وينتف شعره فامر الملك بحمله معه على فيله واستخبره فاخبره
بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فاغار الملك صحبته ومن كان
على بصيرة في طاعته وتوجهوا ناحيته نحو الحصن وانتهى خبره
الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازائهم
من كان امرهم وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه
قصد المدينة ودخلها وضبطها واحكم امرها ثم سار في
جيوشه الى ذلك الحصن فرأى منظرا عجيبا ارتفاعا مستقلا
ممنوعا امانعا ولم يمكنه النزول بالقرب منه فكر الى حيث
امن ونزل في جيوشه محيطا وكتب الى الملك الهندي
كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض عليه خصالا
منها ان يرده الى مملكته مكرما موقرا على ان يدين بطاعة
كسرى فلما انتهى وصول كتاب المرزبان الى الملك الهندي محته ولم
ياخذ كتابه وامره بالعود الى مرسله فيئس المرزبان منه
وكان يقال صرف البصر الى عدوك اضاعه واصغاؤك
السمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت عدوك
مرادك فقد تعرضت للغرق في غمره وللحصول في وثيق
سحره وكان يقال العاقل من يصغي الى عدوه سمعا وهو
لا يرجو عنده نفعا وكان يقال اذا عجزت عن التحصن
من كلام عدوك فانت في التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان
عاد الى المدينة وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيأ له وعليه

من الامور فكتب اليه كسرى يامره بان يقيم تلك المملكة
ويترك التعرض لذلك الاركن فى حصنه الى ان يبدو منه
فساد وان يذكى العيون عليه ويقيم المسالح من جهات
حصنه ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك
مدة وجعل اغتنام الفرس يعيثون فى تلك المملكة ويسأمون
اهلها بالفظاظة والقسوة التى طبع المعتد على ضدها فاذ
الشحنا فى النفوس ودخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما رأوا
ان خراج ارضهم يحمل الى غيرها وينفق فى غير اهلها وعرفوا
فضل ملكهم وما كانوا فيه ومشقة ما صاروا اليه فبسطوا
السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم على القول فيستوحشوا
منه فكف عنهم فكان ذلك داعية الى زيادتهم فى بسط
الالسنة وقد قالت الحكماء ايدى الرعية تبع لالسنتها
فاذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل وتصول
وكان يقال ترك نكير الصغائر مدعاة الى الكبائر واول
نشوز المرأة كلمة سومحت بها واول حرن الدابة حيدة
سومحت عليها قيل واما الاركن الهندى فانه لما استقر فى
حصنه شاور وزراءه فاشاروا عليه بالصبر وكف
الاذى وبسط العدل والاحسان وتأمين السبيل واجارة
المستجير وتألف المستوحش والاخذ بالافضل وبالعفو
فاتخذ هذه الخلال شرعا يدين به فازدادت سمعته حسنا
والقلوب اليه ميلا والالسنة اليه شكرا واتفق ان عاملا
من عمال المرزبان على ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام
اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره
العامل ذلك وكتب الى المرزبان بذلك يزعم ان رجلا من
اهل عمله يعارض امره ويؤلب العامة عليه فكتب اليه المرزبان

يامر بحمله اليه مقيدا فاخذ العامل ذلك الرجل فقيده وبعث
به الى المرزبان مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان
ذلك الثغر وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فاتى الرجل الى العامل واخبره بما صنع اولئك
الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر به العامل فضربت رقبته
وكان ذا منزلة عند اهل بلده فوثبوا على العامل فقتلوه
وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم وانضم اليهم من كان على
مثل رايهم ومن كان في غير حصن وكاتبوا الى من يليهم فاجابوا
الى مثل ما صنعوا وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة من تلك المملكة في اسرع مدة
ولما انتهى ذلك الى المرزبان جمع جنده وضبط حصنه
وصيره على حال امنة ووثوق شديد وكتب الى كسرى
يستمده وكان اهل حضرته عند ما خرج عنهم رئيس الزمازمة
مع ملكهم الى المعقل علموا ان لا غنى لهم عمن يستشيرون رايه
في مهماتهم فقدموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم
فلما راى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من
حاله بالحجة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له الداخل
الموبذان اسالك عن امر ظننت ان علمه عندك فقال المرزبان
قل فقال لعلمي ان مما اوصى به اردشير بن بابك ملك بابل
في وصيته قال قد تخرج الرعية بعسف السياسة الى ما يزيد
من المعصية ولانه قال في وصية ينبغي لمن تغلب على ملك
وغصبه من يده ان يعتقد الصورة والشريطة التي يسلم
عليها تلك المملكة فانها مشروطة عليه وثابتة من عقد سلم
الملك تلك المملكة منه وانها ستخرج عنه من يده بمثل
ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة في

بمجلسه بازاء سريره وموضع قضبانه ففهم المرزبان
ما اراده الا انه اراد الوقوف على حقيقة الامر واخرها
عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال رئيس
الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغني فمالك لم تستعمل الحكمة
التي علمت وعرفت في سياستك عندنا اخرجتها او لعله
يخرجها ولم تحذر خروج المملكة من يديك بمثل ما صارت
اليك فلما سمع المرزبان مقالة رئيس الزمازمة انتهره
وتهدده وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط
الى الارض مغشيا عليه فحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت
المصيبة بعد موته وساءت المقالة وشحنت الانفس
من الشقاق بما كانت منقبضة عنه وفشا ذلك في الرعية
فثوا تاما فاستحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم
وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه
بالسنتهم وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المتقصية
وشغل عنهم المرزبان بتحصين البيضة فبعثوا رسلا
الى الارمن الذي كان ملكهم يسألونه الصفح عنهم وان
يبعث اليهم رجلا ينحازون اليه فاعطاهم امانا عاما
واستعمل عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستنصروا
في طاعته ونصحوا في الذب عنه واضطر المرزبان الى
ان يبعث اليه جيشا فبعث فعاد جيشه منهزما مغلوبا
ولم يجد بدا من الخروج اليه بنفسه فحصن دار مملكته
واستخلف عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى
عدوه ولما فصل عن المدينة وثب اهلها باصحابه واثخنوهم
قتلا وتشريدا عن مدينتهم واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك
المرزبان فاستمر لوجهه شاردا عن تلك المملكة حتى قدم

على كسرى طريداً مغلولا وعاد الاركي الى دار ملكه شرى على سنن العدل والاخذ بالحزم وقمع شهواته واستعمل الحكم التى افاده التجارب اياها

روضة رائقة ورياضة فائقة

قال المؤلف عفى الله عنه بلغني ان امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه قال لرجاله وهو محصور فى الفتنة وددت لو ان رجلا صدوقا اخبرني عن نفسي وعن هؤلاء يعني الذين حاصروه فقام اليه شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وتباعدت لهم فسلبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال هل لك علم بما يثير الفتن قال نعم يا امير المؤمنين سألت عن هذا شيخا من تنوخ كان باقعة قد نقب في البلاد وعلم علما جما فقال لى ان الفتنة يثيرها امران احدهما اثرة تضغن الخاصة والثاني حلم يجرئ العامة فقال عثمان رضي الله عنه فهل سألته عما يخمدها قال نعم قال لى ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة واذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازم يعني الصبر فقال عثمان رضي الله عنه فهو ذاك حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين تفسير الفاظ اشتمل عليها هذا الخبر قوله باقعة اى داهية مجرب ويقال فلان باقعة اذا طاف بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله اثرة يعني اختصاص بعض المستحقين للشئ به دون بعض وقوله تضغن اى تحقد والضغن الحقد نفسه وقوله الخاصة يعني الخاصة وقوله الازم يعني الضم والحبس وحقيقته الامساك للشئ بالاسنان قال المؤلف عفى الله عنه هذا الذي

يعو الى ما ذكره الفرس من ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما
من الفلاسفة ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ
الحق منها من غير عنف والتودد اليها باقامة العدل فيها وامن
السبل وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك قال وزراؤه
اذا اصلحوا اصلح فقال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس
قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يخمدها اذا
ثارت فقال يظهرها جراءة العامة ويولدها استخفاف
الخاصة ويؤكدها انبساط الالسن بما في ضمائر القلوب
واشفاق موسر وامن معسر وغلظة ملول متكبر ويقظة
محروم فقال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها الفاضل اذا
ثارت قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد
حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضى
عن القضاء فقال الملك صدقت ايها الحكيم

السلوانة الرابعة في الرضى

قال الله سبحانه تقدس اسمه وتبارك وتعالى ذكره عائبا
من سخط حكمته وتدبيره وسخط قسمته وتقديره فان اعطوا
منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم على
ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله
ورسوله انا الى الله راغبون ووصف صفوته من خلقه
بالرضى فقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومما يفهمك
معنى قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ما روي
ان موسى عليه السلام قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت
به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك فخر موسى
ساجدا متضرعا الى الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا ابن

عمران ان رضاى فى رضاك بقضاى خير سوى في ارضى
عمام وبلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى
اسالك الرضى بعد القضاء قيل انما قال عليه السلام بعد
القضاء لان الرضى بعد القضاء انما هو عبارة عن العزم
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق
الرضى بالقضاء بعد حصول القضاء ومثله ما روينا ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى رجلا من اصحابه قد اجهده
المرض والحاجة فانكر ما به النبى صلى الله عليه وسلم وقال
له ما الذى بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يا رسول
الله قال افلا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن اذهب الله عنك
ما عنده قال والذى بعثك بالحق نبيا ما يسرنى عطى منها
انى شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع والراضى
منثور ومنظوم من الحكم فى الرضى روى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كتب الى ابى موسى الاشعرى اما بعد
فان الخير كله فى الرضى فان استطعت ان ترضى والا فاصبر
اعلم رحمك الله واياى ان الرضى هو اطراح الاقتراح على
العالم بالصلاح اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من
رضى حظى ومن ترك الاقتراح افلح واستراح كفى بالرضى
عالما عاملا قبل ان تكون له مملوكا وسر اليه عادلا والا صرت
نحوه معدولا قيل للحسن البصرى من اين اتى للخلق فقال
من قلة الرضى عن الله فقيل له ومن اين قل رضاهم عن الله
قال من قلة المعرفة بالله ومما قلته فى الرضى

يا مفرعى فيما يجى ... وراحتى فيما مضى

عد علينا نقصدما ... ترضاه من حسن الرضى

ومن القطيعة استعيد مصرحا ومعرضا

ومن ذلك

كن من مدبرك الكريم علا وجل عطى وجل
وارض القضاء فانه حتم اجل وله اجل

ومنه ايضًا

* يا من يرى حالي وان ليس لي فى عزه ايقضيه اوطار *
* وليس لي من ملجأ دونه * ولا عليه لى انصار *
* حاشا لذاك الفضل والعزان يهلك من انت له جار *
* فان تشاهلكى فيا مرحبا * بكل ما تقضى وتختار *
كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فقدك والنار

ومنه ايضا

اذا انا لم ادفع قضاء كرهته بشئ سوى سخطى له وتبرمي
فصبرى له من حسن عرفى به كما ان رضوانى به من تكرمى

روضة رائقة ورياضة فائقه

قيل ان يزدجرد الاثيم ابن سابور ذى الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده وصول الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وان ينشأ بين امة نبيلة ذات همم علية وخلوم زكية ونفوس ابية ثم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد فكره فى خصائص الامم ومزاياها فرأى ان العرب اولى الامم بتلك الاخلاق التى وصف له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الى النعمان الاكبر ابن امرئ القيس بن عدى بن نصر اللخمى فاستحضره واشخص اليه جماعة وافرة من رؤساء العرب وساداتها فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريد من تمليك النعمان عليهم فانعموا له بذلك فشرف النعمان وتوجه وملكه

عليهم وعلى العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته
واخذه النعمان واسترضع له اربع نسوة صحيحات الاجسام
ذكيات الفهوم رسيات الاعراق سريات الاخلاق امرأتين
من العرب وامرأتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلحهن
وانكفأ بهرام الى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق عليه من
طيب الهواء وفضيلة الماء فارضع المرضعات بهرام اربعة
اعوام ثم فصلنه وقد صار غلاما حسن السرعة بشاته
وشبابه ولما استكمل بهرام خمسة اعوام قال للنعمان تعلم
في تعليمي ما يحتاج الملوك اليه فحدث بينهما محاورة ليس هذا
موضع ذكرها ودعاهما كاسا المسمى درر الغرر المصمم
انباء الانباء فكتب النعمان الى يزدجرد يسأله ان
يبعد الى ابنه رجالا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي
كتابهم فارسل اليه يزدجرد بحاجته منهم ثم ان النعمان ضم
الى ابنه بهرام رجلا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها وكان
ذا بصيرة بالسياسة وخبرة بكثير من اللغات وحفظ
لاخبار الملوك وسيرها ومعرفة بايام العرب وغيرها وكان
اسمه حلسا وافاد بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من
العلم فلما استكمل من السنين اثنتي عشر سنة فاق معلميه كلهم
واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان
وكره بهرام مفارقة جلس لكونه يجد عنده من المحاسن
والاداب والسياسة والاخبار والدهاء ما لم يجده
عند غيره واستدعى النعمان يزدجرد من يعلم ولده الرماية
والفروسية وما يحتاج اليه المحارب فبعث اليه يزدجرد
من اراد منهم لحاجته من ذلك فمكثوا عند النعمان ثلاث
سنين واستفاد بهرام جميع ما عندهم من ذلك ثم صرفهم

النعمان مكرمين واسات جلساء عنده لشغفه به ولما استوفى بهرام من العمر خمسة عشر سنة استأذن النعمان الملك يزدجرد في القدوم بولده فأذن له في ذلك فوفد النعمان على يزدجرد بابنه بهرام واوفد رؤساء العرب وزعماها فأحسن يزدجرد وفادتهم واكرم نزلهم واجزل صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه بهرام عنده واحتبس بهرام جلساء لعلوق نفسه به وكان يزدجرد فظا غليظ القلب عسوفا شديد الكبر غليظ الحجاب محتويا على سفك الدماء واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق ذرعه فشكى ذلك الى جليس فرق جليس لشكواه ثم اقبل عليه وقال له ما معناه جلا الله كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب الامم واقوامها وكبت لعزك ملوك العرب والعجم بحياها ان اولى الناس بامحاض النصيحة من كان معروفا بها ومتدوبا لها ومدعوا اليها ومحضوضا عليها وانه كان يقال النصائح بشعة المبادي حلوة العواقب فهي كالادوية بسوء استعمالها ويسر مآلها ويذم عيبها ويمدح غيبها وكان يقال الامين يصحب الملوك باللزوم على الخدمة والمبالغة في النصيحة ولكن يصحب الملك بحسن المداراة وفرط التذلل وكان يقال انما يسعد النصحاء بالملك اذا كان مؤيدا بفضيلة العقل وان لم يكن كذلك شقي به النصحاء وسعد به ذوو الملق وهذا لان الناصح ينفق على من نصح له من عقله وبالعقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم اتهمن

بالمصح لمن سمح لك بالثقة وان تستر الصواب عمن حتك
لك بحجاب سره وكان يقال اولى العقلاء السعداء تقويلك
منه واقالتك عليه من كانت سعادتك سرطا في سعادته
وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيد لك سعى
لنفسه ودينه عنك ذمه عنها ثم قال انه قد سابق تبرم
ان الملك وضجره بالتى من خدمته للملك واما اشير على ان
الملك باظهار المسرة بما اظهر به التبرم والضجر اذ كان
الملك قد استعمله على عمل لابد للعامل منه اظهار البشر
والطلاقة وكان يقال من صحب الملوك بما لا يوافقها تحرك
عليه بالعطب ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن
خلافه فان الرياء يسهل عن الطبع تسهل الخضاب عن الشعر
ولكن ليتأمل ان الملك القصة التى كرهها بعين العدل
يظهر له حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه الذى
هو جماع لذته وحال طربه ومسرته وراحة نفسه من
نصب التدبير ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة نفسه
ومهجته ورضيه لها لخطها في مجلس خلوته ووثق بكفايته
في صون شرابه عن بلية وآفة يقصده بها اعداؤه من
جهة الشراب او خلل يدخله على عقله السكر والاضطراب
وكيف يصلح ان يعدل عن الولد الحبيب النجيب بهذا العمل
الجليل قدره العظيم خطره ام كيف تطيب نفس الولد العاقل
ان يرى اباه صار فى هذا العمل الى سواه فليصر وان
الملك السكرة الى ما ذكرته له ليكون ما يظهره من الغبطة
لهذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه ومعنى يطابقه ولا
يتخلص من ذلك بما يتمنى رخصة ولا يتبرم منه فما تحبب
نفسه شيء عليه بما اسره توسم لها بصار وتكبر الاكدار

فانه كان يقال الريا شراب يخدع الفطن القاصره ولا يخفى
على البصائر الباصره وكان يقال انما ينبسط سلطان الريا
على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب
فاما العقل فلا ينبسط سلطان الريا عليه لان الاول
الاخر قد كاشفه بكثير من الغيب لاختصاصه اياه ثم قال
بجلس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام
اخبرني عن ذلك فقال جلس ذكروا ان دبا كان يسرح
في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان في تلك الغيضة قرود
وكان يرى قوى القرود على رقي الشجر والتطرف لاغصانها
وتمكنها بالاغصان من اجتناء اطايب الثمار فحدثت نفسه
ان يصيد له قردا منها فيكلفه ان يجني له الثمر فصعد شجرة
والقى نفسه منها والقرود ينظرون اليه وجعل يتضرر
ويتخبط طويلا ثم تماوت فخفت وفتح فاه واخفى نفسه
واجتمع القردة لرؤيته فقال لها حازم منها انه لا يبعد ان
يكون هذا الدب متصنعا خادعا وان الحزم ان يجتنب
ويحذر منه فان لم يكن بد من الدنو منه فلم نجمع حطبا
ونديره حوله ونضرم فيه نارا فاذا كان متصنعا افتضح
وان كان ميتا فلا ضرر علينا في احراقه فانه كان يقال
عدولك وشكم الضدين التاني والتاثر والتدابر
وكان يقال لا تطأ ارضا وطئها عدو لك الا على توثق
واحتراس وتوقي افتراس ولا يغرك ستر وجبه منها وبعده
عنها فربما رتب فيها شباكا ونصب لك بها اشراكا وكان
يقال لا تفتش عدولك الا متسلحا متحرزا مستقلا ولا يدرك
منه استسلامه والتاوه التلدج فما كل سلاح يدرك
بالبصر وقد نظر الراهب للتصنع بمثل ذلك فتم له على ما اراد

فقالت القردة اخبرينا عن ذلك فقال القرد ذكروا ان
راهبا كان ناصبا من الرهبان وكان متنزلا في قلاية
له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد نهكته العبادة
وكانت النصارى يحصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها
اهل الفاقة لزهده في الدنيا وان لصا من اللصوص
رأى كثرة ما يحصل من ذلك الراهب من الصدقات فحدث
نفسه بان يتسور عليه في قلايته فطلب ان يصيب
عنده كنزا فتحيل ليلة من الليالي حتى تسور القلاية وحصل
مع الراهب في حال تعبده فوجده قائما يصلي والسراج
يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استأسر ايها الشيخ
قبل ان القي عنك رأسك فالتفت الراهب فرأى اللص
فاذا هو شاب شديد البنية في يده سيف مشهور مصلت
فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر من بين يديه الى
ناحية من البيت في حائطها طاق فادخل الراهب رأسه
في الطاق ورد يده الى خلفه كما يفعل المكتوف ولما رأى
اللص ان الراهب قد استسلم وحنا رأسه القى سيفه وو
نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط في
دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يتحلحل
عن الموضع الذي حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ
وصلب وقد كان الراهب قد اتخذ في طريق الطاق نقبا
وجعل عليه طابقا يتقلب بلولب اذا اعتمد عليه الراهب
وغطاه ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطريق هاربا
بين يدي اللص خطر من ذلك الموضع وتخطاه لمعرفته
بموضعه فلم يضع رجله على الطريق واللص لم يعرف
ذلك ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول على ما ظهر له من

استسلام الراهب ولم يدر انه قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر فلما سمعت القردة المثل الذى ضربه لها حادا زمها وقفت عن الاقدام على الدب وانتشرت تجمع الحطب لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن حاضرا ذلك ولا سمع بمقالة الحازم قد نام من الدب واصغى باذنه الى انف الدب يستنشق حس نفسه فقبض عليه واعتمد الى عرق من شجر الخيزران فربط طرفه فى وسط القرد وكلفه ان يصعد الى الشجر فيجنى له اطايب الثمر ويلقيه اليه والدب يمسك بالطرف الاخر من الخيزران فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف به الى غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة ولما اصبح غدا على القرد فاخرجه من الغار فانطلق به الى الغيضة فجنى الثمر له الى عامة نهاره ثم راح به الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ مناه والقرد فى اسوء حال واعظم مشقة يظل نهاره فى خدمة الدب ويبيت ليله فى سجنه وكان يقال شهوة العاقل من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة مرت بفكرته فنظر فى مباديها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الرأى وفكرة الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له شهوة مرت نافذة لو جهها لا يعهدها شئ وكان يقال انما صار رسيس المؤنة المتحملة للعلو شاقا لان الارواح تتحمل منها اضعاف ما تتحمل الابدان فيصير الاذى بها عاما وليس كذلك المؤن المتحملة للحسب لان الارواح تتلذذ بها وتستخدم الابدان بها قيل ثم ان القرد تفكر فى حاله فظهر له ان نصبه فى خدمة الدب يمنعه من الخلاص منه فندم على نصبه فى خدمته وعلم انه ليس ينجيه منه الا الحيلة فاطلق فكرته فى ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال اذا كان المملوك ميت الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم

لمالكه وان لم يكن بهذه الصفة فان له فيه شريكا هو المالك
له من سيده وذلك انه اذا كان متحرك الشهوة كان منقادا
لطاعتها فاذا اصبحت وكثر استعمالها في طلب الراحة من
التعب وللخلاص من الاسر وادامة الحج في الدفع على
نفسه واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة والحقد
وتدبر بما يريد لا ما يريد سيده قيل وكان مما عول عليه القرد
من الخديعة للدب ان تظاهر بضعف البصر فصار يلقي الدب
ما لا خير فيه فزجره الدب عن صنعه فلم ينزجر وضربه فلم
يرتدع فلما طال غضبه عليه قال اني سئمت من حركة وضربك
وقد حدثتني نفسي بأكلك لانه لم يبق لي فيك منفع وكان يقال
اذا لم تخدمك الخادم الامين قد ساء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه
لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعاف ما تحمل عن بدنك فقال له
القرد اني لست على ما تصفني به من سوء الادب فلو قتلتني لندمت
كما ندم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك
فقال القرد يحكى ان طحانا كان له حمار يطحن عليه وكان له زوجة
سوء يعشقها وهي تحب جارها وذلك الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع
منها فرأى الطحان في منامه قائلا يقول له احفر في موضع كذا
من مدار الطاحون تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه وامرها بكتمان وكان
يقال من زعم انه يجد راحة في افشاء سره الى غيره فاتهم عقله لان
مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة
الحذر من اشتهاره بسبب المشاركة فيه وكان يقال اهل الهيبة يسلمان
الحكماء للحرث وهما قول الهجر وافشاء السر وشرح هذا ان من
قلت سره فقد اوجبت على نفسك الخضوع له والاحسان في
الاساءة وكذلك من اطلعته على سرك فان يحذرك من افشائه
يلزمك ذل الثقة له وكان يقال المرأة مؤهلة لست تهمه وطعاما

ترمه وولد تربيه ومغزل تدبيره وشبق تسكنه وتثيره فمن اثبرتها
في امره واطلعها على سره فقد التحق بعالمها وليس في قواها الا التحاق
بعالمه قيل وليا الشيخ الطحان امراته برؤياه اخبرت به جارها الذي
تهواه وتقربت بذلك من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال
جار المراة لها كيف نصنع بهذا المال فقالت المراة نقسمه نصفين
بالسوية فينطلق كل واحد منا بنصفه الى منزله وتفارق انت
زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا
على النكاح جمعنا المال وكان بايدينا فقال لها جارها اني اخاف
ان يطغيك الغنى فتنكحي غيري فانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس
في العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه
وكان يقال اليسار مفسدة للنساء لغلبة شهواتهن على عقولهن
وكان يقال لا تسمح لولدك ولا لامراتك ولا لخادمك بما فوق
الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم اليك ثم قال لها بل الراي
ان يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق
بي فقالت المراة اني اخاف منك الذي خفته مني ولست بمسلمة
لك حظي من المال فلا تتمسك على حظي وقد آثرتك بالدلالة عليه
فانه كان يقال انما صار العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد
الزمان لان الشكر انما يجب لمن يتفضل بحق هو له فاما من اعطى
الحق اهله فهو محمود لا مشكور فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره
والحسد والحذر من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقاها في موضع
الكنز وبغتة الصبح فاعجله عن مواراتها فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوة ثم اعترض
القبر والقتيل بين يديه في المدار فوقف فضربه الطحان وهو لا يدري
ما بين يديه ضربا شديدا والحمار يلتوي ولا يمكنه التقدم فاخذ سكينا

وعسه بعثا كثيرة ثم استشاط غضبه فطعنه بها على حائط ثم وثب فيه السكين وسقط ميتا ولما انتشر الصوت رأى الطحان الحمير ووجد امرأته فيه قتيلة فاستخرجها فرأى آثار الكثر واشتد اسفه على ذهاب الكثر وهلاك امرأته وموت الحمار فقتل نفسه قيل فلما سمع الدب مقالة القرد قال له قد ظهر لي فيما ضربته لي عذر الحمار فما عذرك انت فقال له القرد اما عذري فلا يكاد يخفى على ذي لب فطن اما ترى ان بصري قد ضعف واخاف عليه ان يذهب بالجملة فان رأيت ان تنظر في صلاح ذلك بيدك فقال له الدب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال له القرد اني لاعلم الكثير ولكن العاقل لا يستطب لنفسه ولا لاهله الا من يكون من عالمه وان لهذه القردة طبيبا يهدي الارض بصنعه باجادة الطب والزهد في متاع الحياة الدنيا وحطامها واني لاسترجح العافية من تلقائه واستلوح الفرج في لقائه فاجاب الدب الى ما اراد فقصد به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء والذكاء فلما اتيا اليه فر القرد للاختباء من القرد وصعد شجرة وجلس في اعلاها وقام الدب تحتها وقال لهما ما شأنكما فقص عليه الدب قصة غلامه ورغب اليه في مداواته فقال له القرد الخبيث دعه يطلع الي حتى انظر الى عينيه فارجو له الخير ان شاء الله فجعل يتامل عينيه ويسأله عن خبره فقص عليه خبره مع الدب وسأله ان يفتح له باب المكيدة في الخلاص من يديه فقال له القرد الخبيث اني ساحمله على السهر واحتمل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على حذر مراديتنا ولم ليحذرك ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الدب وقال له ينبغي ان اعرفك داء عيني عبدك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء من الجاهل بالداء اعلم ان القردة انما ضعفت حسومها وقلت لحومها وتوقدت فطنها وفهومها لانها وقفت على السهر دواعيها وجعلت الليل احطامن

مساعيها وقد كان يقال كثرة النوم تجلب الدما وتسلب الاعمار وكان يقال
من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود انه سماحة
النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح
بحياته التي لا يجد لها كفا ولا يصيب عنها عوضا ثم قال القرد الخبيث للدب
انك لما اخرجت عبدك هذا عما اعتاده ادخلت عليه الفساد كما صنع
بالطائر الذي صيد لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك وما جرى
للطائر فقال له القرد الخبيث ذكروا ان ملكا من ملوك اليونان كانت له
ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السوداء فدخلت عليها انواعا من
الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغذاء والدواء فاشار طبيب ان
تنقل الى مكان مرتفع من الارض تشرف فيه على بستان مونق وماء جار ففعل
ذلك بها فرأت في اليوم الذي نقلت فيه الى العلو طائرا فيه من كل لون
وقد نزل على دالية فأكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا اتى فيه بانواع
من الانغام المطربة فارتاحت الجارية بما رأت وسمعت من الطائر واستدعت
الغذاء وقد كان يقال افضل الانغام المطربة ما سمع من الصوت الحسن لانه
يحرك الشهوة والطرب جميعا فتنشط القوتان ويفعلان فعل الادوية
المركبة فانها انجح من الادوية المفردة بل هي انفع واشد فعلا وقيل ثم ان ذلك
الطائر اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك فظهر على ابنة الملك القلق
لغيبته ولما كان الغد عاد الطائر الى موضعه من الدالية في مثل وقته
بالامس فاستبشرت ابنة الملك بعوده وارتاحت واكلت وشربت وانصرف
الطائر في يومه كما انصرف بالامس فعاودها القلق لغيبته وبلغ الملك
خبرها بذلك فامر باصطياد ذلك الطائر فاصطيد وجعل في
قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها به واغتبطت وتداوت ورأى
الطبيب انتعاشها وحركة قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم يعلم
مهامع الطائر وان ذلك الطائر لبث عندها اياما مسجونا في القفص
لا ينطق ولا يصوت ولا يطعم شيئا واخذ في التغير والسقم وعادت الجارية

راسه فنظر الى المصحك كانه يحركه الى ان يهبه شيئا فيه سلوة له فسجد المصحك ثم جثى على ركبتيه وقال ان العبد الذليل يستاذن الملك فى ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالاذن له فقال المصحك ان العبد الذليل كان فى حداثة سنه كلف بالنساء مفرط الشوق اليهن الا انه كان ملولا لا يثبت على محبة واحدة منهن وكان كلما استحسن امراة هام بها وتمادى فى حبها وقد كان يقال من اتبع لحظه هواه ادخصه وارداه وكان يقال كن من عينك على حذر فرب حجوح حين جحا ه جموح عين وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم المامول وكان يقال السامة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة وكان يقال التنقل من خله الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال المصحك وان العبد دخل بلاد السند فيما هو يطوف بعض مدنهم اذ راى امراة لم ير قبلها مثلها فى حسن الصورة وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولباقة الاشارات وسحر الطرف وتالق الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى موطئ قدميه من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلته ولزم العبد بابها ليلا ونهارا فارسلت اليه تستعفيه من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكى العبد الى رسولها ما يلقاه من الشغف بها واعلم الرسول انه لا معدل له عن بابها وانه مستميت فى طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم اعادت الرسول اليه فرده العبد اليها بمثل كلامه الاول فارسلت الى العبد تقول له انى اطيق ملك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت الى مساعدتك وانى متزوجتك بشرط الوفاء فان غدرت بى اهلكتك بعد ان انكل بك نكالا لا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فاح

بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وقد كان يقال اربعة ترفع الرحمة عنهم اذا نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دوائه ومن تعاطى ما لا يستقل باعبائه ومن يذل ماله في لذاته ومن قدم على امر محذور من افاتر وكان يقال من بصرك فقد نصرك ومن وعظك فقد ايقظك وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ومن حذر وبصر فقد اعذر وما قصر قال المصنف فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء فتزوج العبد المرأة وبلغ منها امنيته فلبث معها مدة فرادتها قريبة لها فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها الى منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه وشكته الى امراته فعاتبته امرأته على ذلك وزجرته واذكرته المواثيق والعهود ونهته فازداد العبد لجاجا فلما رأت ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه فجعلت تستخدمه في كل مهنة فما شغله ما هو فيه عن ان هوى امة سوداء فجعل يتبعها في طرقها ويتعلق بها ويؤذيها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امرأته التي سحرته وكان يقال انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب لان الطبع اصلي وتمده القوى الناشئة معه فهو املك بالنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكثرة اعوانه بها والادب طارئ على المحل غريب فيه فقلما يطاع امره وكان يقال اضل المؤدبين سعيا من رام من المتأدب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه وآثر عنده من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طالب المتادب بستر المذموم من طباعه وتعميته والتورية عنه قال

المضحك فلما علم امراة العبد ما كان منه اشتد غضبها عليه
فسحرته فصار حمارا وجعلت توجره وتكريه ممن يستعمله
فى اى الاعمال اشق ويستعمله اثقلها وفى نقل الزبل والاحمال
الردية فلبث بذلك مدة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء
عن ان هوانا ما القوم فاشتد شغفه بها فكان كلما راها
نهق وطلبها اشد الطلب ويرد منها بالضرب فيلقى من
ذلك بلاء شديدا ثم اتفق ان امراة العبد التى سحرته زارت
ابنة الملك التى تلك المدينة فكانت معها فى علوها تشرف
منه على ما حوله وكان العبد فى ذلك اليوم قد استاجره
شيخ ضعيف البدن كبير السن فاحمل عليه اوانى فخار فيه
جولقين ومر به على قصر ابنة الملك بالاتفاق فراى عند القصر
تلك الاتان التى يهواها فما ملك نفسه ان نهق وقصدها
وفعل ما يفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه
من كل جانب والفخار تساقط عن ظهره متكسرا والشيخ
صاحب الفخار يطمط ويصيح ويستغيث بالناس وجعل
الصبيان والسفلة يطمطمون من كل جهة والاتان فارة
بين يديه ترمحه وهو يطلبها فى تلك الحال فرات ابنة الملك
ذلك كله فاعجبها واضحكها فقالت لها امراة العبد التى سحرته
يا ابنة الملك الا احدثك باعجب مما رايت من هذا الحمار فقالت
لها بلى فافعلى فقالت انه زوجى وقصت عليها خبر العبد
فاشتد تعجبها مما سمعت وسرت به ثم امرتها ودعتها الى
ان تزيل عن العبد ما سحرته به وتبطله وتخلى سبيله فاجابتها
الى ذلك وابطلت السحر عن العبد فعاد بشرا سويا ولم يكن
له هم الا الفرار من بلاد السند فلما انتهى المضحك من
حديثه الى هذا المبلغ سكت وكان الملك بن دحرد قد اشتد

ضحكه لما سمع من حديث المضحك ولما شاهده من لطيف حركته في وقت حكايته فلما سكن ضحكه وعاوده الوقار والانفة اقبل على المضحك وقد اكفهر له وقال له ويحك ما حملك على ان تكذب هذه الكذبة الشنعاء كانك ما علمت انا نعدد بسيئتنا الكذب ونعاقبها عليه وقد كان يقال الكذب كالسموم التي تقتل متى استعملت مفردة قتلت وان ركبت مع غيرها من الادوية نفعت فلا ينبغي للملك ان يطلق الكذب الا لمن يستعمله في المصالح كالكذب في كيد الاعداء وتأليف البعداء كما لا ينبغي ان يطلق ملك تلك السموم التي ذكرناها الا للمامونين عليها المانعين لها من المفسدين فقال المضحك ايها الملك السعيد ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة المرتاض به والذي حملني على ذكره امر يلزم ستره عن غير الملك فاشار الملك الى جلسائه فقاموا وخرجوا عن المجلس ثم قال للمضحك هات ما عندك فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن قال لابنة الاصبهبد ومعنى هذا الاسم وزير الوزراء فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما يدل على صدقك ولا لوم على ولدنا في ذلك اذ لم يصنع من نفسه محبة ابنة حافظ ملكنا وسيد اوليائنا وسنبلغ ولدنا امنيته ونحسن اليك باطلاعنا على امره فاكتم ذلك علينا حتى يتم امرنا فيه بمشيئة الازلي الواهب المصور ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمائه وسماره ومطربيه ان يعودوا الى مجالسهم ونادوا واخذوا فيما كانوا فيه اولا وعادوا الى يزدجرد سروره وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام فاخبره بالخبر على وجهه فشكره ووصله

ثم ان يزدجرد انكر اسنه بهرام اسة الاصبهبد ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقاد متذللا له منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر ملك الروم على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة والموادعة فاكرم يزدجرد قدره واكرم قصده وعرف فضيلته وفضله واحسن نزله فلما راى بهرام منزلة اخي قيصر عنده استشفع به عند ابيه في رده الى النعمان فشفعه واذن لبهرام في المضي الى بلاد العرب فكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه يزدجرد قال المؤلف عفى الله عنه وقد عن لي ان اذكر في هذه السلوانة ما تكمل به بهجتها وهو الاخبار عن هلاك يزدجرد وما احدث رعيته من بعده وكيفية مصير الملك الى بهرام ولده وذلك فيما ذكره المعتنون باخبار ملك الفرس والله اعلم ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل بما نصبه سلفه من العدل والراي اجتمع وجوه رعيته من ذوي الصلاح عندهم فدعوا الله سبحانه وتعالى على يزدجرد وسالوه معافاتهم منه فرحم الله عز وجل ضراعتهم واستجاب دعاءهم فبينما يزدجرد جالسا في منزل له اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان فرسا مستو عريا قد جمع محاسن صفات الخيل وجودة وصورة لم ير الراءون مثلها حاد يستدعد واحتى قام بباب الملك وان الناس يهيبونه فلم يجسر احد يدنو منه واذا الخيل قد نافرته بما تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه ملئ به اعجابا ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد ناصيته ووجهه وقص ناصيته وامر بالحامه واسراجه فالجم واسرج

ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا وملئ الفرس بسرجه عدوا فما عرف اين يتوجه كما لا يعرف من اين جاء ويقال بل ركبه يزدجرد فحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم فيه والله اعلم اى ذلك كان فلما راوا ان الله قد اراحهم منه اجمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولده بهرام خوفا من ان يسن فيهم سنة ابيه فملكوا عليهم ملكا من ابناء ملوكهم السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة رأيهم في تمليكه عليهم وانتهى الخبر الى النعمان فاطلع عليه بهرام واخبره انه عاضده وناصره وباذل نفسه وماله ورجاله في مرضاته فشكر له بهرام ذلك وامره بشن الغارات في اطراف بلاد الفرس مع الكف عن سفك الدماء فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعفونه ويسألونه العود الى احسان المجاورة فلما انتهى الرسل الى النعمان قال لهم انما انا خادم الملك بهرام افعل ما امرني به فاذهبوا اليه فلما ذهبوا اليه وعاينوه ملأ عيونهم جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسألوه العفو والصفح فاجمل خطابهم وبسط آمالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم انه حسن الرأي فيهم مؤمل لاصلاح شأنهم وانه متوجه اليهم ليتولى اخبارهم بنفسه ولاقامة الحجة عليهم فذهبوا لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب في كل كتيبة الف فارس من انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند

الفرس لهم مدافع حتى انتهوا الى دار الملك ونزل بظاهرها
فخرج اليهم عظماء الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام
كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه
القوم فسجدوا له واذن لهم في الكلام فتكلم رئيس
الموبذة فحمد الله واثنى عليه وذكر رأفته بخلقه ثم ذكر
ما سار به يزدجرد من الجور والعسف وما فعل الله به
ثم اتبع ذلك كراهة الفرس لتمليك ولده بما يتخوفونه
من سلوكه سبيل والده لاسيما وقد نشأ بين الاعراب
الذين يصطلون بجشو مهم خراب الارض وسألوه ان
يعفي الفرس مما سألوه فيه من الكراهة فانهم لا يملكونه
طائعين ولا يقصرون عن دفاعه بكل ما امكنهم فلما
انقضى كلام رئيس الموبذة تكلم بهرام فحمد الله سبحانه
واثنى عليه وشكر نعمه المتواترة عليه وصدق رئيس
الموبذة فيما نسب الى يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع
ذلك ما يتمناه من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور
ويشد قواعد الحق ويذيق الرعية من حلاوة رأفته
واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واساءته
واعلمهم انه لا يترك ميراث ابيه وانه مع ذلك يدعوهم
الى ان يضعوا تاج الملك وزينته بين اسدين ضاريين
ويحضر هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج
والزينة من بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكر لهم
انه ما يفعل ذلك الا رأفة برعيته وصونا لهم عن مقاومته
ودفاعه وثقة بنصر الله عز وجل وعونه لما يعلم من
حسن طويته وخلوص نيته ورغبته في اصلاح الارض
واهلها فرضي عظماء الفرس بما بذله بهرام من نصفته وتحرا

الراحة منه من غير مشقة تنالهم في دفعه وانقلبوا عنه
متعجبين من جماله وكماله وفصاحة لسانه ثم عمدوا الى
اسدين ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الى ظاهر
المدينة في قفصين من حديد في عنق كل واحد منهما
سلسلة في طرفها وتد من حديد فضربوا الوتدين
في جهتين مختلفتين وجعلوا تاج الملك وزينته بينهما
بحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والتي
عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين قريبا وقد اجتمعت
امة عظيمة من الفرس واجتمع العرب وقاموا بازائهم
فخرج بهرام من قبته وشد وسطه بمنطقته ومع ذلك لما
اليها وقام بازاء الاسدين بين الصفوف ونادى
كسرى ان اخرج ايها المتوثب على ملكنا المتصب على كرسينا
المتغلب على ميراثنا من ابائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته
من اهله فاجابه كسرى انك اولى بالتقدم الى ما اعطيت
من نفسك لانك الداعي اليه المتبرع به ثم انك تطلب الملك
بوراثة وانا غاصب فقام بهرام من الاسدين وسلاحه
معه فلما رأى رئيس الموبذة ان بهرام قد عزم على فعل
ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك مستميت نفسك
ولا اثم علينا فيك فقال بهرام بل انما جعلت ذلك على
نفسي رأفة بكم ولا بد من فعله فقال له رئيس الموبذة
ان كنت قد عزمت على ذلك فتبرأ الى الله سبحانه بذنوبك
وتب اليه واستغفره فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله
عز وجل منها وسأله العون ثم دنا من احد الاسدين
فتصدم الاسد الاخر فلما قاربه راغ منه بهرام روغة
ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد وضمه بوركيه

صمة تلالها الاسد وبهت وفرج بين قوائمه ونبت لمكانه
يلهث فقصده الاخر وانتهى اليه حتى الصق راسه براس
الاسد الاخر الذى تحته ولم يمكنه السلسلة من التقدم
فقبض بهرام على اذنيه وجعل يضرب براس احدهما
الاخر حتى سقطا ميتين فقام بهرام قائما على قدميه وحمد
الله واثنى عليه وشكره على صنعه وعونه وازال ذيوله
من مسطبته وتناول تاج الملك فوضعه على راسه فاداه
كسرى الذى كان الفرس ملكوه ليهن بهرام الملك بن
الملك بما اعطاه الله تعالى من ميراث سلفه فكلنا له سامع
مطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء له وتقدم اليه
موبذ موبذان فاخذ بيده واجلسه على سرير الملك وشد
عليه زينة الملك وبايع له بالطاعة وتتابع تتابع زعماء
الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة وبرك بقصر
ابيه وفرق الاموال فى ذوى الحاجات واهل النجدة وجبى
النعمان وشرفه وتوجه واجاز الفرس الذين صحبوه باسرهم
على اقدارهم ثم وفى للرعية بمواعيده ووصلهم باحسانه
ولم يزل محمودا فيهم حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا
غير ذلك والحمد لله وحده

التسلوانة الخامسة وهى سلوانة الزهد

قال الله سبحانه تبارك وتعالى ذكره وتقدس اسمه مخاطبا
احكم من استخلفه فى ارضيه واعلم من كلمه بما يرضيه الذى
كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار فقر الملك على غنى الملك واشتد لا

في ذلك

قال له جبريل عن ربه خيرت فاختر يا ولي الهدى
نبوة في حال عبدية تحوي بها الفلح المعلى غدا
او حال تمليك تخر العدا بين يديه صوغرا سجدا
فاختار ما يحظى به اجلا لله ما اهدى وما اسعدا

خبر نبوي في الزهد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا ممن كان قبلكم
بينا هو في ملكه ادركه الخوف يريد للخوف من الله تعالى
قال فترك ملكه وخرج حتى اتى النيل فكان على شاطئه يضرب
اللبن يعني الطوب ويقتات من ثمنه فسمع الملك الذي كان
بالقرب من ارضه بخبره فارسل يقول له اني اريدك فكن
مكانك حتى الحق بك ثم ترك الآخر ملكه ولحق به فكان
امرهما واحدا الى ان هلكا وروينا بلفظ آخر قال عبد الله
ابن مسعود بينا رجل في موكبه تذكر فعلم ان ما هو فيه
منقطع وانه قد شغله عن عبادة الله عز وجل فانساب
عن قصره ليلا وصار الى مملكة غيره فاتى الى ساحل البحر
يضرب اللبن ويغتذي من ذلك كرعيته فبلغ الملك الذي
هو في مملكته خبره فركب اليه وسأله عن حاله ومن هو
فاعلمه وقال له انا فلان ملك كذا علمت ان ما كنت فيه منقطع
وقد شغلني عن عبادة ربي فعرفه وعرف انه ترك ملكه
ابتغاء لعبادة الله وطلبا للدار الآخرة فقال له الملك ما انت
بما صنعت بنفسك باحق مني ثم خلى سبيل ملكه وتبعه فكانا
يعبدان الله عز وجل جميعا وسألاه ان يميتهما جميعا
فاستجيب لهما وماتا جميعا قال عبد الله بن مسعود لو كنت
بمصر لاريتكم قبريهما بالنعت الذي نعتهما لنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منثور ومنظوم من الحكم الزهديه

روي ان سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين راى ما صار اليه من الملك حسنا يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه عديم وملك لولا انه هالك وفرح لولا انه ترح ولذات لولم تقترن بآفات وكرامه لو صحبها سلامه قال فبكى سليمان حتى اخضلت لحيته من دموعه ومما قلته في ذلك

يا مستعد للمرء ... ص في الفضول وكاد ده
لو حزت ما حاز كسرى ... وما حوى وافاده
ما كنت الا معنى ... ومغرما بالزياده
لم يصف في الارض عيش ... الا لاهل الزهاده
فحرص على الزهد نفسا ... فانما الخير عاده

حذار حذار من دار هي شر دار حرامها سم ناقع وحلالها راقع وحلالها نصب شاسع وامل واسع وقد قلت في ذلك

دنياك دار غرور ... ومتعه مستعاره
ودار لبس وكسب ... ومنعم وتجاره
وراس مالك نفس ... فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها باكل ... وطيب عرف وشاره
دار ملك سليمان ... لا تفي بشراره

ولي من ذلك ايضا

ابا بدار تردي محاربها ... وتحقر الآمال في لمواذعها
وتستغرق الحليم عن سبل القصد وتعمى على عقادعها
من رام انقيادها لطليه فقد حاول ما ليس في طبائعها

اسرع ما تفنى بوائقها يوما اذا استجمعت لجامعها
فتمه عليها واثن بنفسك عن طلابها واقتفاء تابعها
واشفق عصى ببعة القروبها وانبذ صرلها الى مبايعها
عمري لقد انذرت منذرة ناجعة نصحها لسامعها
موذنة انها متودبه لساعة آه من قوارعها
فالامن والله من فجائعها يغنمه الزهد في مطامعها

ومن ذلك ايضا

راعك الزهد انما الزهد رفض لفضول يلهي ويطغي ويردي
ثم لا يمكن الزهادة في المقسوم رزقا بل من ضروب التعدي
رحبا بالكفاف عفوا اهنيا ثم لا مرحبا بحرص وكد
ها علمنا وقد راينا كثيرا وسمعنا منه ازجلا بجد
لا يزال الحريص يستامد الحر ص بنصب من الشقاء ونكد
ثم لا يستطيع ان يتعدى قدر ما تحتمه من مرد

قيل ان خرقة بنت ابي قابوس النعمان بن المنذر راستاذنت بالقادسية على سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت عليه في جواريها وعليهن المسوح ومقطعات السلب السود فراى منظرا شنيعا لم تتميز له خرقة من جواريها لمشاركتها اياهن في الزي وكن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن خرقة فقالت الخرقة ها انا ذه فقال انت خرقة قالت نعم فما تكرارك استفهامي وكان قد سالها عن نفسها حين دخولها ثم قالت ايها الامير ان الدنيا دار قلعة وزوال فما تدوم لاحد على حال تنتقل باهلها انتقالا وتعقبهم حالا بحالا وانا نحن كنا ملوك هذه الارض يجبى الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدى المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملاءنا وكذا

الدهر يا سعد ذو نوايب وصروف انه ليس من قوم انعمهم
غيره الا اردفهم بصيره ولا اسمعهم نغمة الا اعقبهم
بترجمه ثم انشات تقول

فبينا نسوس الناس والامر امرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فاف لدار لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه اذ دخل عليه عمرو
ابن معدي كرب الزبيدي فنظر الى الحرقة وقال لها انت الحرقة
التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج
المفصل بالوشي فقالت نعم فقال لها عمرو ما الذي دهمك
واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات
نقمك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك
بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة وتذل ذا المعز وان
هذا امر كان مسطورا فلما حل لم ننكره ثم ان سعدا سالها عما
قصدت لاجله فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوائجها
وردها مكرمة ولما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه
فانشات تقول

صان لي ذمتي واكرم وجهي انما يكرم الكريم الكريما

روضة رائقة ورياضة فائقة

قال المؤلف عفا الله تعالى عنه نذكر ان شاء الله ههنا من زهد
الملوك ما يوافق الخبر السوي الذي قدمناه آنفا وهو زهدهم
في الملك مع تبذلهم له وتخليهم منه ولا نتعرض لذكر
من زهد في نعيم الملك ولم ينبذه لاستقلاله باعباء سياسة
الخلق بالحق راعيا الزهادة والعبادة مع ذلك كداود
وسليمان والانبياء عليهم السلام وابي بكر وعمر والخلفاء
المهديين رضي الله تعالى عنهم فان هذا الفن يخرج عن هذا

التبويب ولا يندرج في هذه الاساليب والله المستعان
فمن ذلك ما بلغني ان معاوية بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان
رضي الله عنهم اجمعين كان على صغر سنه عالما عاملا متبتلا
متنفلا قد ذلل نفسه بالتقوى وصدف بها عن زينة
الحياة الدنيا افضت الخلافة اليه وسنه سبعة عشر سنة
فخامره الندم على تحملها فاطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه منه
ولبثوا بذلك عشرين ليلة يناظرونه فيه وينهونه عن اظهار
كراهته فلما راوا انه غير منته ولا بد له من خلع نفسه دعوه
ان يعهد لاحدهم فقال لهم كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد
تبعة عهدها ولو كنت مؤثرا بها احدا لآثرت نفسي ثم انه
خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم
ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف واغلق
بابه ولم ياذن لاحد فلبث بذلك خمسا وعشرين ليلة وقيل
عشرين ليلة ثم لحق بربه سبحانه فرحمة الله عليه وقال علي
ابن الجهم في ذلك من ارجوزة تاريخه في امر معاوية رضي
الله تعالى عنه

ثم ابنه معية المضعف كان له دين وعقل يعرف
ودام شهرا ثم نصف شهر وجاءه الموت عزيز الامر
وترك الناس بغير عهد توقيا منه وفضل زهد

قال المؤلف عفى الله عنه كلام علي بن الجهم هذا يتضمن ان معاوية
لم يخلع نفسه والمعروف ما قد ذكرناه وانما قال معية وهو
معاوية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة وكذلك كونه
ابا ليلى وهو كنية المستضعف وقد بلغني ان الباعث له على
الزهد في الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له يتلاحيان
وكانت احداهما بارعة في الجمال فقالت لها الاخرى لقد

اكسل جمالك كبر الملوك هو الملك حقا فقالت لها الاخرى
واى خير في الملك وصاحبه اما فا ثم بحقوقه وعامل بالشكر
فيه فذاك مسلوب اللذة عديم القرار منغص العيش واما
منقاد لشهواته مؤثر للذاته مضيع لحقوقه مصروف عن
الشكر فمصيره ذلك الى النار فوقعت الكلمة فى نفسه ما وقعت
موقعا مؤثرا وحملته على الانخلاع من امر الخلافة والله تعالى
اعلم روضة رائقة ورياضة فائقة
قيل كان عدى بن زيد العبادى قد دخل ارض الروم مرسولا
لملك العرب فاقتبس من علومهم وقرأ كتابهم وكان داخلا
من ملك الفرس كاتبا وترجمانا له وكان ابوه زيد واليا على
الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء فكان عدى بن زيد
عند ملوك الحيرة من لخم لاجل ما ذكرناه فى اعلى المراتب
قيل انه حضر يوما عند النعمان بن امرئ القيس بن عدى ملك
الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قصر قدمنا ذكره فاشرف
النعمان على ما حوله من جوانب القصر وذلك فى فصل الربيع
فتأمل مليا ثم اقبل على عدى بن زيد فقال له يا عدى اكل ما ارى
الى نفاد وزوال فقال عدى قد علم الملك ان الامر على ما ذكر
فقال النعمان فاى خير فيما يفنى ويبيد وينفد ثم قلما
لبث ان تنصر وترهب وساح فى الارض وقيل بل كان
مجتمعا بالراهب المسمى بشقائق النعمان واليه ينسب لانه
كان تنع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام
الربيع عن سماء متنزها وقد كساه ذلك النور والشقيقة
رملة مستطيلة فلما عاين ذلك النور منبسطا فى نباته وفى
حمرته وخضرة سوقه وتموجه بهبوب النسيم عليه وتساقط
قطر الندا من اوراقه رأى منظرا عجيبا لا نيقا فامر فبسط له

بازاء تلك الشقيقة بساط موشى من حرير فكأنما كان رو
مختلفة الالوان مكللة بأصناف الزهر ونصب له علي
قبة من الديباج الاحمر وقد شحنت من المقاعد والحشا
والنمارق والمساند بما يضاهيها ويجانسها ولبس من الحر
المصبوغ بالبهرمان يعني المعصفر افضل ما يمكنه وجلس
في قبته تلك مواجها للشقيقة وحوله ندماؤه وملهو
وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه الراح
فارتاح ثم اقبل على عدي فخاطبه بما ذكرناه آنفا فلما سمع
عدي مقالته اهتبل الفرصة في موعظته بما حكيناه
وازمع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله حتى انقضى
اربه من مجلسه ذلك وركب فسايره عدي الى ان مر بقبور
بظاهر الحيرة فقال عدي للنعمان ابيت اللعن ايها الملك اتدري
ما تقول هذه القبور قال النعمان لا فقال عدي فانها تقول

يا ايها الركب سيروا ان قصدكم — ان تصبحوا يوما لا تسيرونا
حثوا الركاب وارخوا من ازمتها — قبل الممات وقضوا ما تقضونا
انا كما كنتم كنا وانكم — عما قليل كما صرنا تصيرونا

قال فلما سمع النعمان مقالته راجعته الفكرة السالفة
وظهر عليه الانكسار ثم مر بشجرات متناوحات بينهن ساحة
فيها عين جارية فقال عدي للنعمان اتدري ما تقول هذه
الشجرات ايها الملك فقال الملك لا فقال عدي انهن يقلن

رب ركب قد اناخوا حولنا — يشربون الخمر بالماء الزلال
والاباريق عليها فدم — وجياد للخيل تزهو في الجلال
عمروا دهرا بعيش حسن — آمنا دهرهم غير عجال
ثم اضحوا عصف الدهر بهم — وكذاك الدهر يردي بالرجال
وكذاك الدهر يرمي بالفتى — في طلاب العيش حالا بعد حال

من رآنا فليحدث نفسه   انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا تبقى لها   ولما تأتى به صم الجبال

ويقال ان ذلك كان بينهما بموطن آخر وانه انشد بقوله هذا
الى قبور كما اشار به اولا قيل فلما سمع النعمان قصره فى ذلك
لعدى اذا كان السحر فاحضر فان عندى خبرا اطلعك عليه
على جليته فلما كان السحر جاء عدى فوجد النعمان قد لبس مسحا
ولحق بالسياحة فودعه وذهب ولم يعلم له خبر
قال المؤلف عفا الله عنه وعندى ان السائح المترهب هو
النعمان بن المنذر الاكبر ولم يدركه عدى بن زيد ولكن ذكره
فى شعره والذى ادركه عدى انما هو النعمان بن المنذر
الاصغر وان عديا نبهه بما حكى عنه تنبيها اقتضى تبصره
لا سياحته بل هو الذى قتل عديا وبقى فى ملكه الى ان قتله
كسرى والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك واى ذلك كان فالجملة
ففى ذلك يقول عدى بن زيد

ايها الشامت المعير بالدهر   أانت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الايام ام انت جاهل مغرور
من رأيت المنون اعززن ام من   ذا عليه من ان يضام خفير
اين كسرى كسرى الملوك انوشر   وان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا   فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ   ـملك عنه فبابه مهجور
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والا   مة وارتهم هناك القبور

ثم اضحوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل ان ملكاً من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات فأتته قنة كانت قيمة له تلبسه ثيابه فلبسها ثم ناولته المرآة فنظر فيها فرأى شيبة في لحيته فقال هات المقراض يا جارية فأتته به فقص الشيبة فتناولتها الجارية وكانت اديبة لبيبة فوضعتها في كفها واصغت اليها باذنها ساعة والملك ينظر اليها ويتأملها متعجبا فقال لها ما تصنعين فقالت اسمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بفقد الكرامة العظمى حتى سخطها الملك وكرهها فابعدها واقصاها فقال لها الملك وما الذي سمعت من قولها قالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاماً لا يجترى لساني ان ينطق به خوفاً من الملك واتقاء سطوته الا ان امنني فقال لها الملك قولي آمنة ما لزمت اسلوب الحكمة فقالت الجارية انها تقول ايها الملك المسلط على الى امد قصير اني كنت قبل ظهوري قد ظننت بك البطش بي والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك حتى بيضت وحصنت بيضاتي حتى افرخن وعهدت الى بناتي عهداً في الأخذ بثاري منك وكان قد خرجن فعجلن الاخذ فأخذن بثأري منك اما باستئصالك واما بتنغيص لذتك او بضعف قوتك حتى تعد الهلاك لك راحة فقال لها الملك اكتبي كلامك هذا فكتبته له فقرأه وتصفحه مراراً ثم نهض عباداً فأتى هيكلاً من الهياكل المعظمة عندهم فنزع عنه لباس الملك وتزيا بزي اهل العبادة ونساك الهياكل ولزم ذلك الهيكل وبلغ خبره الى اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه

بالعود الى محل مملكته فامتنع عليهم وسالهم اقالته وتمليك غيره عليهم فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه فاصطلح بينهم الناس على ان يتركوه في الهيكل يعبد ربه ويشكى من يستاء في حقه امر رعيته ويلي الملك بمشيئة غيره واقام على ذلك الى ان مات رحمه الله

روضة رائقة ورياضة فائقة

بلغني ان ملكا من ملوك اللالان كان كافرا عاتيا متكبرا شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم العزة وكان اذا ركب لم يستطع احد ان يرفع صوته الا بالثناء عليه والمدح له والشكر لاحسانه وكان له وزير مؤمن يعبد الله تعالى يكتم ايمانه ويتحير وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك الى الله تعالى فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض شأنه فقال للاعوان اعني الشرطة خذوه فلما اخذوا الشيخ قال ربي الله وحده فصرخ الوزير للشرطة وقال خلوا عنه خلوا عنه فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الانكار عليه في ذلك المقام لئلا يظهر للناس ان الوزير خالف الملك فيما امر به وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امرها اراده الملك فلما انصرف الملك الى مستقره احضر الوزير وقال له ما الذي دعاك الى مناقضة امري بمشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يحل على الملك اريته وجه نصحي واشفاقي وبري عليه فيما اتيته فقال له الملك ارني ذلك فاني لا اعجل عليك في المؤاخذة فقال اريد ان يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير احضر قرطاسا صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع اسمه عليها فما ولها الوزير غلاما عضرته وقال

الغلام ان يحضر صانع هذا القوس فاذا حضر واقبلت
عليه بالمحادثة فاقرأ الاسم الذى على القوس جهرا حتى تعلم
ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها على ركبتك فاحضر القواس
وفعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها نفسه ان ضرب الغلام فشجه فقال له الوزير
ويحك اتضرب غلامى بحضرتى فقال القواس ان القوس
عملى ايها الوزير وهو فى غاية الحسن والجودة فلاى شى كسرها
فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال له قد اخبرته
القوس بانها عملى فقال له الوزير كيف اخبرته القوس وهى
لا تنطق فقال ايها الوزير هذا وسم اسمى عليها وقد قرأه
وانا اسمع فصرف الوزير القواس ثم اقبل على الملك وقال
له قد رأيت الملك وجه اشفاقى عليه ونصحى له بما كان
منى فان الملك لما اراد ان يسطو على الشيخ اخبره الشيخ ان الله
ربه فخفت على الملك ان يبطش به رب الشيخ وليس يقوم
لبطشه شى غيرة منه على صنعته ان تفسد عبثا فقال
الملك لوزيره وهل للشيخ رب غيرى فقال له الوزير الم يره
الملك شيخا والملك شاب فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد
الملك الا شاهدا الوجود فهل كان لا رب له فقال الملك لا
بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب بقى بعد
هلاك ربه فقال الملك للوزير لقد قدحت فى كبدى بزند
غير صالدة ولقد علمت الآن انه يجب ان يكون للمالك
والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فتدلنى عليه فقال الوزير
نعم اعرفه انه تعرف الى بنعمته وآلائه وحلمه حتى عرفته
فقال الملك دلنى عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
انا دال لك عليه فاول ما يجب على واما اتباعك لى فلمن

فعلت فاما تنبع عمدك الذى يقيك بمحنه مما يهلك ثم ان
الوزير يلطف فى دلالته على الله سبحانه فشرح الله قلب الملك
لقبول ذلك وامن بالله ثم قال لوزيره اما الرب فاحد فما ادا
احسن العبد حظى بذلك عنده فقال الوزير بلى ايها
الملك ان له وظائف عبادة امرها عباده ووصى هم فعلها
ووعدهم رضوانه عليها والقرب منه وذكر له الصلاة
والصيام وغير ذلك من شرائع المسيح عليه السلام فجعل
الملك مرتاض بها حتى رسخ فى علمها وتمرن عليها ولزم العمل بها
ثم انه قال لوزيره مالك لا تدعوا الناس الى الله كما دعوتني فقال
له ايها الملك ان الملأ من اهل مملكتك امة ذات قلوب قسية
وفهوم قصية ونفوس عصية ولست امنهم على دمى ان دعوتهم
لهم بذلك فهي فقال له الملك انى فاعل ذلك ان لم تفعل دان
فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته عنى لم تردهم
عنه وساجعل نفسى وقاء لنفسه وانهم سيقتلوني لا محالة
فلا يجترئ الملك عليهم بمثلها بعدى ثم ان الوزير استدعى الى
داره وجوه تلك المملكة وذوى تدبيرها وولاة احكامها
واهل النسك والحكم فيها فلما اجتمعوا اليه فى داره قام فيهم
خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فقاموا اليه وقتلوه ثم صاروا
الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له انا
ظننا ان الملك على مثل رايه وعن معرفة ما عنده فادهن
الملك بالقول ولان لهم الخطاب وصوب رايهم فى قتل
الوزير فانصرفوا راضين عنه وقلما لبث ذلك الملك ان
سد الملك ولحق بالرهبان فكان معهم حتى توفاه الله تبارك
وتعالى

روضة رائقة ورياضة فائقة

قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له في حد اثنة سنه وبد وامره ولد فسماه بابك باسم ابيه فنشأ رائع الصورة بارع الخلقة فشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا في الحكمة متحليا بالزهادة وساله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقتطعه الحكيم عن ابويه وتولى تربيته وتدرجه الى انه اضطلع باعباء علوم الفلسفة وتبوأ مثوى الزهد ولما سعى ازدشير لضم كلمة الفرس تم له المراد واعطاه ملوك الطوائف القيادة استمد راى ولده بابك فيما ناله من المهمات فظفر منه باضعاف امنيته الا انه كان لا يشاهده ويشافهه الا نغص عليه لذته ونغص اليه الدنيا تصنيفا لمعايبها وتعريفا بشوائبها وتخويفا من عواقبها فكان ازدشير متنغص المسرة بولده لاجل ذلك فانه كان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكرونه وكان يقال قلما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى تطول عنايته به على انفراده وذلك لكثرة ما يتجاذب خواطره من الامور حتى اذا توفر فكره على امر واحد واجتمع له اوشك ان يحكمه فاذا رأيته قد اجتمع لامر واحد وتوفر عليه فلا تتعرض له بغيره فتحول بينه وبين الفرصة التى يقل ظفره بها قيل وكان ازدشير يحتمل ذلك لولده شغفا به وتألفا له وابقاء عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك فقال بابك ايها الملك السعيد انى لى ابوين ابا كان علة كونى وابا كان علة بقاءى وانا بهما عارف فقال له ازدشير صف لى اباك الذى كان علة كونك فقال بابك ايها الملك انه ملك ملأ العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور رهبة والقلوب محبة ذو رأفة شاملة وقضية فاضله وسيرة عادلة وحزم اخاف قلوب المريبين

من حسادها وسيوفهم من اعمادها وامن المرسلين من السباع الضارية من يشر ايلها والافاعي الحارية القاتلة من سمها واحقادها واحسادها والاشباح برق لسيفه وحرمه والاروا برق لسيه وحله فقال اردشير صف لنا اباك الذي كان علة لقائك فقال بابك ايها الملك انه حكيم عرف فضيلة نفسه وكرمها وعني بها يخدمها فقال اردشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال بابك ايها الملك انه تامل نفسه فرآها ارضا اريضة انيقة بكل خير خليقة ذات مياه نابعة واشجار طالعة وانهار رابعة وظل ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها ماوى لاسد الغضب ونمور للجهل وذئاب الغدر وحمار الشره وكلاب للحرص وضباع للحمق وحيات الظلم وعقارب البغي والحسد فنزعها هذه الآفات كلها وحصنها منها فصارت خيرا محصلا لا شر فيه فلما سمع اردشير مقالة اسد علم انه معرض عن الملك زاهد فيه باذل له فساءه ذلك ثم اقبل عليه وقال للرياياك ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها ان يكون مربوبا مقهورا مع تمكنه من ان يكون ربا قاهرا فقال بابك ما احذر الملك التبعيد بالصدق واجراه على الاصابة ولكن ان اذن لي الملك التعبيد ضربت له مثلا للرب القاهر والمربوب المقهور فقال اردشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكروا ان فيلا كان مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد لذلك الملك فيل وحشي فعسر على السواس رياضته وتعذر عليهم تأنيسه فراوا ان يجعلوه مع ذلك الفيل الانيس الاديب ليأنس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك فازداد نفارا وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له

ليذل فنال منه للجهد وان الفيل الربيب الانيس خلا به يوما
فقال له لقد جنيت على نفسك شرا واسأت النظر لها بجهلك
ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان
يقال العزة حجاب يحجب الالباب عن صوب الصواب وكان
يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك لتهوره وفساد تصوره
وكان يقال لا تمنح كرامتك غير طالبها كما انه لا تنكح كريمتك
غير خاطبها فقال الفيل الوحشي للربيب وما الذي يراد مني ايها
الاخ المشفق قال يطيب علفك ويستعذب موردك وينظف
مسكنك ويوكل بك خدمة يكلؤنك ويراعون شؤونك
ويجعلون لبروزك اوقات معلومات منتظرة فيجتمع اليها
الناس فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بالات تهيج الطرب
وتبعث على الاختيال ثم تبرز مكرما معظما لا انقار ضنك
دابة ولا تهب عليك للهون هابة فقال الوحشي للربيب لاختبرن
ما ذكرت لي فنزع عن توحشه ونفاره وتأنى وأتى لما يراد
منه فكرم ونعم وخدم وعظم ولما اظل يوم الزينة بولغ
في خدمته وتكرمته وتنظيفه وجلل بالديباج وشد
على ظهره سرير مزين وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع
والخود وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه دارع بيده
كلاب والبست فنطسته الزرد وشد على طرفها سيف
كبير قائم وقبض سواسه على نابيه عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد وعليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول
والصنوج وسار على تلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد
الى ماواه قال لذلك الفيل الربيب لقد بلوت حقيقة ما حدثتني
عنه ورأيت زيادات احببت ان اسألك عنها قال ما هي
قال ما كانت تلك الاثقال التي حملت على ظهري فقال له الربيب

أولئك المقاتلة على سرير مرين ومعهم آلات القتال قال فما الذي
سترت به قطستي والذي صير على طرفها وما اراد القابض
على بابي والراكب على عنقي فقال له الريب اما الذي سترت به
قطستك فدرع يحصنها لانها مقتل واما الذي ربط اليها
فسيف تضرب به العدو واما القابضان على بابيك فانهما دبابا
عنك الاعداء ويعيسانك على الاقدام واما الراكب عنقك
فيهديك الوجه الذي يرادمنك سلوكه فقال له الفيل
الوحشي لامرما طيب علفي واستعذب موردي ووطئ بدني
ومسكني ونوه باسمي وحمل ملبسي واني لأرى امرا لا يبقى
خيره شره ولا يقوم نفعه بضره وبعد فلأكونن احرص
الحراص على التماس الخلاص وقد كان يقال ليس عز من انقاد
الى لذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من عني بغير نفسه
وقد بسط عليها ضره واستبسط لها ضره وكان يقال اذا كانت
الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته فالملوك
اذا اعبد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا
كانت العبودية كناية عن خدمة المعبود والحاجة اليه فاعبد
العبيد ثلاثة الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء المعبود به
على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلاثة من ذلك لان
الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتأييدها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وبردع ظالمها
ونصر مظلومها وتأمين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما
يقيها ويعينها في الحدوث وما يخصها في الحروب وحماية
فصول اموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب
هيجها وازاحة علل فتنها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك
الى رعيته في صون نفسه وتسديد امره واخلاص نصحه ودفع

عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة الفيل الوحشي تبين له انه
اولى منه بالغرة والتهور وفساد التصور وقال حقوما قالت
الحكماء الجهل يحجب العيان ويقلب الاعيان وقال الحكيم لا يزال
المخطئ مرجوا ما لم يخامره الاعجاب بخطئه فاذا اعجب حجب ثم
قال للوحشي انا مكافئك على نصحك اياي وتبصرك لي بأن
افتح لك باب الحيلة في نجاتك لأني ابصر باخلاق الانس
وعاداتهم واهدى لك الى وجه الخلاص منهم وسأتبعك
وأكون خادما لك ما بقيت ثم انهما اتفقا على ان يتظاهرا بالتز
وهو داء يصيب الابل والفيلة في اعجازها فاذا اقامت ارتعدت
افخاذها حتى تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمى على السير
الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما
فاخرجوهما الى الصحراء وفصدوهما وسيروهما فلما بعد الفيلان
عن العمارة وامكنهما فرصة الهرب شردا ولحقا بالفيلة الوحشية
فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت لي فلما وعى ازدشير مقالة
ولده بابك اطرق مغموما يفكر في امره وقد يئس من اجابته الى
ما يريد منه ثم انه نهض وامر بابك باتباعه حتى ادخله بيوت
امواله ومستودعات ذخائره فجعل يريه اياها وينبهه على
مزاياها حتى اتى على آخرها ثم اقبل على ولده فقال له يا بابك لمن تترك
هذا تتركه لمن هو احب اليك من نفسك واحق به منها فقال له
بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثلا فيه جواب
ما سألني عنه فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك فقال
بابك زعموا ان راعي بقر كان يرعاها لاهل قرية فكان يحسن لبقرهم
التسراح والمراح فلبث بذلك برهة من الزمان طويلة وهم مغتبطون
به مثنون عليه لما اختبروا من بركة سعيه وتمييز مرعيه وكانوا
لا يسألونه عن شيء من امر بقرهم التي اسلموها اليه في رعيه رضى

به وصابيته الى امانته وكفايته وقد كان يقال الموثوق
موصوف والامين بالمودة محض وكان يقال الاحسان والامانة
مملتان بكل لسان موصوفان باحقاق عند كل انسان قيل
وكان الراعي يأوي عند المقيل الى صومعة راهب فيقيل
في ظلها ويكثر التأوه والانين لما ياله من النصب مما يعانيه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان حمل الراهب رقة له واطلع
عليه يوما وقال له ايها الراعي مالي اسمعك تكثر الانين
والتأوه فقال له الراعي ان ذلك لما اغتمه من حفظ هذه
البقر والذب عنها وتتبع المراعي الخصبة لها فاني اقوم من
ذلك بما يحرجه عمري واحمل نفسي المشقات فقال له
الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح
سواها ونفسك اقرب اليك واحق بنفعك فقال الراعي
لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور الى
ما ترى ولقد كانت يوم وليتامرها قليلة العدد كثيرة العجف
بكثة الضروع لا تربين نماء ولا تملا اناء فقال له الراهب
لقد حدثت عن مسالة جيدة من لم يولها اقبالا ولم يلق لها
بالا اني انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لغيرها وايثار
من سواها بخيرها فاخبرني بشديد عنائك وشدة اعتنائك
فاسرفي الان عما افادك حمد سعيك وسديد رعيك
فقال الراعي افادني الغني بهذه البقر لاني آكل من لحومها ما سقط
منها ما شئت واطعم من شئت واتصرف في البانها وغير
ذلك من منافعها تصرف المالكين واتمتع بها من الارض
حيث شئت هي على الحقيقة لي وبيدي فقال له الراهب
هكذا زعم راهب كان داباه ثم صح عنده بطلان زعمه
فقال الراعي للراهب اخبرني عن ذلك فقال له ذكر انه كان

راهب سائح متعبد وكان متولعا بالسياحة ثم رقي به بعض
سياحته بدير قديم كان حسن البناء فتشلمت حيطانه وهو
بمكان طيب تربة وبين يديه ارض اريضة فيحاء ذات ماء
عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان ومساكينهم
وقد التجوا الى جدار ذلك الدير يأوون اليه اطراف النهار
فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن شديد الحيل
جلدا معمارا فاصلح ما انثلم من جدران الدير وتهدم وعمر
الارض التي عنده فاحتفر سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها
صنوف الاشجار فدرت منافع الدير وقصده الرهبان
فاوطنوه وسادهم ذلك الراهب السائح وتقدم عليهم
فاتخذ العبيد والدواب والات عمارة الارض واضاف
الى ارض الدير ما جاورها من الارض وغرس فيها من الكرم
والزيتون واللوز شيئا كثيرا فعظمت المنافع وكثرت الجباية
ورغب السائح في جمع الدنيا واحرم المساكين واتخذ كنزا
نفيسا في اقرب مدة وقد كان يقال المال كالماء من استكثر
منه ولم يجعل له مسربا يتصرف فيه على ما زاد على الكفاية
وقدر الحاجة غرق به وكان يقال المواساة في المال والجاه
يعود بقاؤها فلما عامل الراهب السائح من عمر معه مغاداة
الدير بالحرمان واستأثر دونهم بالمال اكثروا شكايته
وقبحت المقالة فيه واجترا عليه من كان يهابه وافضت
الحاجة بهم الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى المواساة
والانصاف فيما بيديه فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي
كسبته بكدي واستفرغت في تحصيله جهدي فقالوا له المال
هو مال الله ولكل واحد منا فيه جزء هو حقه ولك الفضل
علينا بتنميته وصونه فقال لهم تستحلون مال سيدهم ولما

حين عليه الليل امر عبيده فعقروا المائة الية والف ريتونة
والف لوبرة فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فاتوا السائح
واخبروه بما حدث في البستان وهم لا يشعرون انه هو العامل
لجميع ذلك فزجرهم وقال لهم انه مالي ولا عليكم منه ان
بقي او ذهب فعلموا انه هو الذي فعل ذلك وخشوا الفساد
على العارس الباقي وتعطيل مصلحة الدير ومنافع انفسهم
فوثبوا عليه واهانوه وضربوه ثم طردوه فخرج من الدير
على الحالة التي دخله عليها بل اشر ولما حصل بظاهر الدير
سرح طرفه فيما كان عمره وغرسه فرأى منظرا انما تنفس
الصعداء تحسرا على ذهاب شبابه وقوته وضياع عمره فيما
لم يجد عليه طائلا ثم كانت عاقبته الى الحرمان الى منزلته الاولى
ثمه على حال اهانة وفاقة وضعف وقد قالت الحكماء الدنيا
سبيل تعبر ولا تعمر ومن سالك لا مقر بها وقالت الدنيا
جسر من عبره باعتبار انتهى به الى دار ونبار ودثار وهي
قريب سلبها من سلبها وخطفها من عطفها والعاقل من اهلها
من استعد لحيلها وليس الاستعداد لذلك الا التاهب لعمها
المكتوم وفراقها المحتوم والاستكثار منها فيقصر ذلك
وقالت الحكماء الخروج من الدنيا مما لا تطيب به نفس ولكن
قد تتهيأ برياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الماني
العاجل والاستكثار من العمل النافع في الاجل وقالت الحكماء
النعيم في الدنيا سريع حسرة زوالها ويؤكد غصبه اغتيالها
ثم ان الراهب السائح عاد الى سياحته فتبا لمن ان هلك فبل
فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم ما ضربه له من المثل
واستبصر فيما تضمنه من الحكم قال له حرمت من ناصح حبرا
بعد الآن في التصميم على حالي عندك فقد ادبتني كا باتك وهاتي

للقبول وجلت عن فطنتي صداء غرتي فقال الراهب المراعي
لقد اوضحت لك من غلطك في دعوى ملك ما استرعيته
وائتمنت عليه وكشفت لك ما استر عنك من قبح حملك على نفسك
لغيرها معتاضا عن ذلك اعواضا قليلة واعراضا مستحيلة
فاردد البقر الى ملاكها واعمل في خلاص نفسك من السباع
الضارية والافاعي الجارية والكلاب العاوية والعقبان
المختلسة والشياطين الموسوسة والاشراك الخاتلة والسموم
القاتلة لتنجو من البوار وتعلو الى عالم الانوار قيل فلما انتهى
بابك الى هذه الغاية من امثاله امسك عن القول واطرق
ابوه ازدشير مفكرا متاملا لما تصرف فيه ولده من المقال
وضربه له من الامثال ثم نهض مضطرب البال مضطرم البلبال
وخرج بابك من فوره فساح ولم يعلم ابن طاح قال المؤلف
عبد الله الفقير اليه الغني به محمد بن ابي محمد بن ظفر رحمه الله
تعالى والحمد لله على ما انهيت بغيه وما اوردت الى نهيه
وانا اعوذ بالله من عذاب الاعذاب كما اعوذ به من حجاب الاعجاب
واستكفيه شر السؤال كما استعفيه من غول الجواب واستدفع
به فساد الخطأ كما استدر به كساد الصواب واتوب انه
هو الرحيم التواب انتهى وكان تمام طبعه وايناع ثمرة
طلعه على ذمة كل من ملتزميه حضرة العمدة الفاضل والهمام
الكامل الشيخ عبد الهادي الابياري قابله الله بلطفه السارى
وحضرة عمدة الاعيان ونادرة الزمان المستعين بربه القوى
حمد افندي الازهري بتصحيح الشيخ علي بن علي المعري الشهير بالمخللاتي
قابله الله بلطفه في الماضي والآتي وكان ذلك في اوائل
شهر صفر الخير من شهور سنة الف ومائتين وثمانية
وسبعين ختمها الله بخير على جميع المسلمين آمين يا رب العالمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا
ومولانا محمد نبي الرحمة وكاشف
الغمة وعلى اله وصحبه
وسلم والحمد
لله وحده
آمين

م